العدد ٨٢٤ — الاثنين ١٨ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

الدولار والشرق العربي ... ... : الأستاذ عمر حليق ٧٣٧
المسرح والجمهور ... ... : الدكتور محمد القصاص ٧٤٠
أمام أبي الهول ... ... : الأستاذ وجي الراعي ٧٤٢
مشكلة الشر في ضوء وحدة الوجود : الأستاذ عبد العزيز محمد الزكي ... ٧٤٣
من الأعماق ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ٧٤٦
فران بين يدي الأتراك والطليان : الأستاذ أحمد رمزي بك ٧٤٨
حول مشكلة السكان في مصر ... : الأديب محمد محمد علي ٧٥١
« تعقيبات » : توفيق الحكيم في ميزان الفن والنقد — كرانتشكو بتصدر على مجلة « ليتره » الفرنسية — « كافر » للشاعر السوري زهير ميرزا — جوهر التقوس عندنا وعندهم ٧٥٥
« الأدب والفن في أسبوع » : العربية تزحف على يد وزير المعارف — مدرسة حديثة في فن القصة — كشكول الأسبوع — رسالة من عباب — الخطب المؤذية ٧٥٨
« البريد الأدبي » : كلمة أخيرة في بيتشة وماجنر — في تفسير الإمام محمد عبده — أين دفن الإسكندر ؟ جمع غيور — سوياً معي معاً — نظم صنع لا صناع — تاريخ الأزهر (كتاب) — قصص الأطفال الحماية المصورة (كتاب) ٧٦٢
« القصص » : الغريب — من روائع موباسان : بقلم الأستاذ ٧٦٢
مصطفى جميل مرسي ٧٦٥

٣٢ ـ ٣٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 824

Lundi — 18 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ١٨ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الدولار والشرق العربي

للأستاذ عمر حليق

هناك حقائق خطيرة قبل أن تتعرض لمعالجتها ألسنة الرأى العام العربى عندما تتحدث عما يقترحه المعسكر الغربى على الشرق العربى من مساعدة اقتصادية ومحالفة عسكرية . وهذه الغربات التى تنقلها إلى القارئ العربى فى غير فطنة مواصلات فكرية هى فريسة يؤثر التوجيه العام فى السفارات الأجنبية وفى وكالات الأنباء « العالمية » التى يعيش على محصولها الإخبارى قارئ الصحف العربية والمستمع العربى .

ومن أبرز هذه الحقائق تجاهل المعنيين للعرب لحقيقة الوضع الاقتصادى القلق الذى يعيش عليه الولايات المتحدة وهى عماد المعسكر الغربى ، وحاجة هذا الوضع إلى استثمار الأموال فى المناطق التى توفر الربح العاجل المضمون كمنطقة العالم العربى .

فللمشروعات الأمريكية للمساعدة الخارجية كمشروع مارشال أوجه أخرى غير الأوجه السياسية . « الإنسانية » التى يبدو أن معظم ألسنة الرأى فى الشرق العربى ميالة إلى التعلق بها وحدها .

وحين نسلم بأن التوسع السوفياتى وذيوله السيئة فى شتى نواحى النشاط الإنسانى هو أخطر ما يواجه حاضر الشرق الأدنى يجدر بنا كذلك أن لا ننسى مطلقاً ما يستتر من الشر فى الاستسلام المطلق للتوسع الأنجلو أمريكى : فإن امتداد مشاريع « المساعدة » الأمريكية إلى الشرق العربى هو توسع تستلزمه الأزمات الحاضرة فى السياسة والاقتصاد والحرب التى تواجه المعسكر الغربى .

ولعل الوقوف على الوضع الاقتصادى فى الولايات المتحدة وعلى برامج التوسع التجارى الذى لا مفر للصناعة البريطانية من تحقيقه إذا حرصت على النهوض الصحيح — هذا الوقوف يلقى ضوءاً هادياً على سياسة الدولار فى منطقة الجامعة العربية .

إن الوضع الاقتصادى فى الولايات المتحدة الأمريكية قلق ؛ وليس هذا الجزم منتبعاً من تعقيبات « براڤدا » و « ازڤستيا » وراديو موسكو ؛ بل هو حقيقة لا يستطيع الأمريكان كتمانها عن أنفسهم وإن استطاعوا — بفضل ما لهم من نفوذ قوى فى المواصلات الفكرية العالمية — التقليل من خطورتها خصوصاً لدى الشعوب التى يتقدمها الوعى الاقتصادى الحساس كشعوب الشرق الأوسط

وأبرز مظاهر هذا القلق الاقتصادى فى منطقة الدولار مشكلة التضخم المالى وازدياد التبطل بين العمال الفنيين والصناعيين والتباين فى معدل الإنتاج والاستهلاك ، وألف وجه ووجه من المشاكل الاقتصادية المعقدة التى تأتى فى أعقاب الحروب الكبرى فالنكسات الاقتصادية — والنكسة وصف معتدل لحاضر

الاقتصاد الأمريكي — لا تولد بين عشية وضحاها ؛ إنما هي وليدة تضخم في الإنفاق وتضخم في الشراء وتضخم في الاقتراض. فقد اتسع الإنتاج الصناعي في أمريكا زمن الحرب اتساعاً هائلا في طفرة غير اعتيادية ، فارتفعت نسبة الإنفاق على النحو الذي خبره العالم بأسره ، وزادت نسبته في أمريكا . ومما ساعد على التضخم في الاقتراض طبيعة التعامل النقدي في الحياة الأمريكية (تسهيلات الدفع والتقسيط الخ) ؛ فنتج من ذلك هذه التيارات التي واجهها الكيان الاقتصادي في أمريكا منذ أكثر من عامين ، ونجح في تفادي أزمتها الجارفة بالقرض البريطاني أولا ، ثم بمشروع مارشال وبرنامج التسلح الهائل الذي ينفذ في إسراف يستوعب العمال العاطلين ثانياً . وهو يحاول الآن أن يخطو خطوة إنقاذ أخرى على طريق التوسع الاقتصادي في المناطق « المتأخرة » .

إن إنهاض التنمية الاقتصادية ضرورة لاستقرار السلم العالمي — هذه حقيقة مسلم بها ، ولكن المهم في هذا العرض هو الوقوف على بعض العوامل الأساسية في مسألة قد تقرر مصير الكيان العربي لأجيال عديدة .

فالمساعدة الاقتصادية المقترحة ليست إحساناً خالصاً لرفع مستوى المعيشة للبائسين في الشرق العربي ؛ فالضمير الأمريكي لم ينفعل كثيراً لفاجعة فلسطين بالرغم من أن له اليد الطولى فيها .

والمساعدة الأمريكية ليست سهماً يوجه للشيوعية التي تربض على أبواب الشرق الأدنى — فوقف أمريكا من التطور في الصين ، وقصدها من تزويد الأتراك بحاجتهم الماسة ينفيان ذلك — ولكنها مصلحة فيها عنصر أناني وضرورة اقتصادية ملحة تضع في يد الشرق العربي عنصر مساومة فريد .

ذلك لأن هذا الشرق في رأي المستر إميل شرام رئيس بورصة نيويورك الكبرى ، من أفضل المناطق لاستثمار رؤوس الأموال الأمريكية لأسباب عددها في عدد يناير من مجلة عالم الأمم المتحدة وهي :

أولاً — إن الوضع الاقتصادي في الشرق الأدنى سليم جداً. فهو لم يتضرر من الحرب المنصرمة .

ثانياً — أن هذا الشرق لا يواجه وعياً اقتصادياً ، ولا تزعة اشتراكية جدية تعرض رؤوس الأموال الأجنبية للتأميم . فالقدمية الاقتصادية في الشرق الأدنى لن تستيقظ بصورة خطيرة إلا بعد أن تعطي رؤوس الأموال المستثمرة أكلا طيبا .

ثالثاً — إن هذا الشرق بحاجة إلى التمويل وأولو الأمر يقدرون ذلك ، والتعامل معهم سيكون على أساس اقتصادي سليم

وطبيعي أن مايقترحه الأمريكان من مساعدة للشرق الأوسط لا يقتصر على المخصصات الحكومية . وأكبر الظن أن هذه المخصصات ستكون على أقل نسبة . والواقع أن برنامج ترومان للمناطق التي تحتاج إلى التنمية الاقتصادية قصد في أساسه إلى تهيئة الفرص لرؤوس الأموال الأمريكية للاستثمار في الخارج وضمانة أرباحها .

وهناك نواح أخرى لا بد من الوقوف عليها لأية مساومة قد تدفع دول الجامعة العربية إلى الأخذ بها في هذه التيارات الجارفة .

فكما يستفاد من القليل الذي تنشره الصحف الأمريكية ومن الكثير الذي تنشره الصحف العربية ا من طريقة حكومة أمريكا في مد مشروع مارشال إلى الشرق العربي ، فإن المساعدة ستقتصر على ناحيتين :

الأولى: تحسين الدفاع الاستراتيجي من الناحية الحربية الصرف ومن وجهة نظر حلفاء الغرب الصرف كذلك .

والأخرى: تنمية الإنتاج الزراعي كوسيلة لرفع مستوى المعيشة.

والتريث في بحث هاتين الناحيتين يكشف عن شئون غاية في الخطورة للكيان القومي في كل من الدول العربية ، وفي السياسة الأقليمية التي تمثلها الجامعة العربية التي لا مفر — لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، للمناطقين بالضاد من السير بموجبها على الرغم مما ألم بها من نكسات .

فمشاريع الإنتاج البترولي وأنابيبه وتأمين سريانه وحماية مواصلاته ستكون لوب « الإنعاش » المقترح .

وطبيعي أن للشرق العربي حاجة ماسة لتحسين المواصلات ؛ ولكن هذا التحسين إذا توخى ماينتظر منه من فوائد وجب أن لا يتقيد بمصلحة الإنتاج البترولي على حساب النواحي الأكثر أهمية والأشد ضرورة ؛ فالناحية الحيوية في مشكلة المواصلات في الشرق العربي أعقد من أن تقتصر على الإنتاج البترولي والطارات السعودية والليبية الغربية من آبار الزيت الروسية في (باكو) وفي حوض

قزوين ومصانع الإنتاج الحربي الروسي فيما وراء جبال الأورال .

والناحية الثانية وهي تحسين الإنتاج الزراعي كوسيلة لرفع مستوى المعيشة أوجه غير هذا الوجه الخلاب الذي قد يغري من لم يدرك حقيقة العلاج للعلل الاقتصادية في الشرق .

فان الانتاج الزراعي إذا لم يلازمه التصنيع الواسع النطاق الثابت الأركان فانه لن يستطيع رفع مستوى المعيشة للملايين المصريين مثلا ولا حل أزمة السكان وضآلة الدخل القومي : وهذه الحقيقة تنطبق على العراق وسائر أنحاء الشرق . وأن طبيعة العوامل الاقتصادية التي تدفع أمريكا وبريطانيا لمساعدة الشرق العربي تتطلب أن يظل هذا الشرق مستهلكها لا منتجاً للسلع التي يعيش عليها الكيان الاقتصادي في أمريكا وبريطانيا . وليل المصلحة البريطانية في هذه الناحية أشد انتفاماً وأمد في النتائج العملية . فاذا أشرك الأمريكان البريطانيين في مشاريعهم للشرق الأوسط فإن البريطانيين قد أشركوا من قبل (ركفلر) وأمثاله من أقطاب المال الأمريكان في هذه الإمبراطورية الاقتصادية التي تعمل الآن في صمت في أواسط القارة الأفريقية .

هذه ألوان من الحديث قد تساعد على معرفة بعض مواطن الضعف والقوة فيما يقترحه المعسكر الغربي . ويضاف إلى هذه التلميحات الاقتصادية ذيول والتزامات سياسية خطيرة العواقب . فإن أي مساعدة أو منحة أو قرض يستلزم التعاون مع الكيان اليهودي في فلسطين سيحقق له في الحاضر والمستقبل ما حققته الناحية الخفية من أعمال « مركز تموين الشرق الأوسط » الذي أقامه الحلفاء إبان الحرب العالمية الماضية ؛ إذ استطاع الاقتصاد اليهودي بواسطته أن يتركز بعد أن كان مضعضع الكيان مشرفاً على الإفلاس ، واستطاع أن يحظى بأنواع من المواد الخام والتصنيع الحربي من بعد مركز تموين الشرق الأوسط ، وهذا ما أثبتت بصارك فلسطين مبلغ خطورته . والذي يزيد من حدة الدعوة إلى هذا الحذر من مثل هذا التعاون مع يهود فلسطين — مباشراً كان أم غير مباشر — المناصرة الشديدة التي يلقاها مشروع « مساعدة » الشرق الأوسط في البرلمان الأمريكي من الشيوخ والنواب الذين عملوا منذ سنين لواء العمل للصهيونية

* * *

ليست للخيرات الكامنة في الشرق العربي وحدها هي التي تغري واشنطون بالتودد ؛ فإن أمريكا الجنوبية أضعاف الخيرات التي في هذا الشرق . وليس خطر الشيوعية وحده هو الدافع لهذه « المساعدة » ، ففي الصين وكوريا وفي أمريكا الجنوبية كذلك — وهي الباب الخلفي للعم سام — ثغرات من الفقر والجهالة أوسع مما في الشرق العربي ، ومع ذلك فلا يضعها الأمريكان في طليعة الدول التي لها الأسبقية في « السخاء » الأمريكي . وليس الموقع الاستراتيجي وحده كذلك هو السبب الوحيد .

ولكن هذه الأسباب مجتمعة أوجدت حالة فريدة ، تجتمع فيها المصلحة الاقتصادية الاستثمارية مع الحاجة العسكرية ، وأخشى أن أقول مع النفعة الصهيونية . فعلى الذين يتولون التوجيه في هذه الحالة مسؤولية فاصلة في الكيان الأساسي للعالم العربي .

وإذا كان لابد من مساومة فلتكن على أساس من المصلحة القومية تراعي في حرص وفطنة حاضر العرب ومستقبلهم ، والتيارات الجارفة التي تحيط بهم .

(نيويورك) عمر حليبي

إدارة البلديات العامة

تقبل إدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) في المزايدة العامة تأجير البوفيه الخاص بها لمدة سنتين من أول يونية سنة ١٩٤٩ .

وتقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ٩ مايو سنة ١٩٤٩ . وتطلب الشروط والمواصفات مجاناً من الإدارة بشارع منصور على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليماً . ١٦٠١

المسرح والجمهور

للدكتور محمد القصاص

ليس الفن المسرحي هو المؤلف وما كتب فحسب، ولا المؤلف ومعه الممثلون وحدهم، بل لا بد له من جمهور أيضاً. تلك هي الدعائم الثلاث التي إذا فقد المسرح إحداها انهار.

بالطبع كل من يكتب ويطبع يبتغي أن يقرأ، وإلا لا كتفى بتسجيل خواطره وأفكاره تسجيلا سرياً دون أن يعمد إلى تنظيمها وتبويبها وطبعها ونشرها. فالفن اجتماعي بطبعه إذا هو بجوهره. ومن ثم فإننا نعجب لكاتب يكتب ما لا يفهم القراء ومالا يفهمهم (ولا نتكلم هنا عن الشعر فقد يكون له موقف خاص) الكاتب الذي يعيش — كما يقال — في برجه العاجي بعيداً عن الحياة وعن الناس.

ولا نقصد من وراء ذلك أن يحقر الكاتب رأيه أمام جمهوره فيتملق عواطفه مهما انحطت، ويتنكر بمواطن الضعف فيه! كلا، فإن هذا مفسدة للأدب مفسدة للفن، بل هو إلى التهريج أقرب منه إلى الفن.

ولكن احتقار الجمهور والبعد عنه، ومخاطبته بلغة غير لغته، والاشتغال بنجوم السماء دون الأرض ومن عليها، جرم مرتكب في حق الفن والمجتمع على السواء. ومع ذلك فقد نسلم جدلا، جدلا فقط، أن الرسام يستطيع أن يرسم لوحة يحتفظ بها لنفسه، ولنفسه فقط، وأن الشاعر يستطيع أن يكتب قصيدة يرددها بينه وبين نفسه من طلوع الشمس إلى غروبها، ويكتمها عن جميع من عداه، وأن القصاص قد يكتب قصة ثم يتركها تنط في سباتها العميق سنين وسنين حتى يأتي يومها، حتى يأتي جمهورها بعد زمن يطول أو يقصر. ولن يضيرها ذلك في شيء فهي قد وجدت بالفعل منذ انتهى صاحبها من كتابتها، ولن يزيدها وجوداً أن تظفر بعشرة قراء أو بعشرة آلاف قارىء أو بمائة ألف قارىء. ولن يكون لقارئها أي تأثير عليها، بل هو الذي سيتأثر بها تأثراً سطحياً أو عميقاً، عاجلا أو آجلا.

ومن جهة أخرى إذا كانت أفكاره عسرة الهضم، أو كان ملتوي الأسلوب معقد التعبير مقتصداً في المقدمات خفي النتائج، فقد يجوز له أن يترك كلامه على ما هو عليه دون أن يجهد نفسه في أن يرفع من كتابته غموضاً يستطيع القراء أو غالبية القراء رفعه ولو بشيء من العسر. ذلك لأنه يعلم أن الكتاب يستطاع أن يقرأ وأن تعاد قراءته، وأن كاتبه يستطيع فتحه أو إغلاقه متى شاء وأنى شاء، وأن يكرر من عباراته كلما عن له أن يفصل حتى يفهم. فإذا لم يكن بعد ذلك أهلا للفهم فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

أما العمل المسرحي فله شأن آخر. فهو بمثابة كتاب يقرأ جماعة، ومتى فتح لم يتسن لواحد من القراء أن يغلقه تبعاً لهواه. كتاب تدار صفحاته من تلقاء نفسها من أول صفحة إلى آخر صفحة. إذا فيلت منه كلمة فقد فاتت، وليس لسامع أن يرجو من الممثل إعادتها، وإلا أصبحت قاعة المسرح ميداناً لكوميديا أخرى غير كوميديا المؤلف: كوميديا الجمهور لا كوميديا الممثلين، إذا راح المتفرجون — كما تخيل أحد الساخرين — في رواية غامضة يقومون الواحد بعد الواحد، مطالبين بإعادة تلك الجملة أو بتفسير هذه الكلمة، فيتصدى لهم الأذكياء أو من يتظاهرون بالذكاء فيطلبون إليهم أن يتركوهم يستمتعون في هدوء، وألا يقطعوا على الممثلين سلسلة اللعب؛ ويجيبهم الأولون على عنفهم بعنف أشد منه، حتى ينتهي بهم الأمر إلى التقاذف بالشتائم ثم إلى استعمال الأيدي. وهنا ينتقل تمثيل الدراما من فوق المسرح إلى قلب الصالة. على كل حال سواء أدفع المتفرج أجر مكانه أم لم يدفعه، فإنه يصر على أن يفهم، وأن يفهم على الفور كلمات المؤلف بمجرد أن تلوه بها الممثل.

ومن ثم وجب أن تكون التمثيلية مثلا أعلى في قوة الإفهام ووضوحه. فالمسرح إذاً مسيد الوضوح، يجب أن تسمى فيه الأشياء بأسمائها. وويل للمؤلف الذي يحاول أن يمثل قطعة باللغة الصينية على مسرح من مسارح القاهرة لا يفهم زائروه غير العربية. تلك هي إحدى الحقائق الكبرى التي على كاتب المسرحية أن يراعيها، مهما كلفه ذلك من جهد ومن تضحية: أعني أن يستعمل لغة مشتركة بين الجميع، مفهومة من الجميع، مهما كانت

مشتقاة طائفة بالصور والأخيلة موغلة في الروح الأدبي .

وإليكم حقيقة أخرى ليست أقل من صاحبتها في الأهمية . وهي أمر يتعدى الكلمات والعبارات إلى الموضوع الذي تعبر عنه ، إلى الأفكار التي هي لباس لها . فما جدوى الكلمة الواضحة المعنى والعبارة الصحيحة المبنى اليسيرة الفهم الجميلة الصورة ، إذا كانت الفكرة التي تعبر عنها أو العاطفة التي تصفها أو تستثيرها لا تمت بشيء إلى ما في ذهن الجمهور وقلبه ، إذا كانت لا توقظ فيه صدى ولو خافتاً لهذه العاطفة أو تلك الفكرة ؟ وأسوأ من ذلك إذا أثارت فيه عاطفة مضادة لما أراد الكاتب ، أو إذا أثارت عاطفة ما عند بعض المتفرجين فجعلتهم يبكون وأخرى مناقضة لها عند البعض الآخر فجعلتهم يضحكون .

فعلى الكاتب المسرحي أن يخاطب عواطف وأفكاراً مشتركة بين جميع أو معظم أفراد جمهوره ، ولو كانت موزعة بينهم بأنصبة مختلفة .

قد يعترض علينا معترض فيقول : أوافق أنت من أنه قد يوجد شخصان فقط يؤخذان من بين الشعب دون اختيار فيرى بعد الاختبار أنهما يتفقان في إحدى الفكر اتفاقاً كاملاً ؟ ونحن نجيب على هذا بأن الاتفاق في التفاصيل أمر عسير . ولكن من الطبيعي أن يتفق أفراد مجتمع من المجتمعات التي يصح أن يطلق عليها هذا الاسم في طائفة من القيم العقلية والأخلاقية : كالحق والباطل ، والخير والشر (ولا نقول الجميل والقبيح ، فإن تلك قيم جمالية تخضع لاختلافات كثيرة لا محل لذكرها هنا) . فالاتفاق على الخير والاتفاق على الشر ، ذلك هو الحد الأدنى الذي على المؤلف أن يسعى في تحقيقه حتى يتحقق التناسب بين عمله وجمهوره . ذلك هو الشرط الأساسي الذي يجب أن يتوفر في التمثيلية لتثير انفعال الجمهور ولتجتذبه إلى ما يريد المؤلف أن يجتذبه إليه . فالقطعة التمثيلية لا تكون حقاً ولن تحيا حقاً إلا إذا حيت في نفوس الجمهور كما حيت في نفس الكاتب والممثل ، وفي نفس اللحظة التي يشاهدها فيها . وهذا ما جعل جاك كوبو من أعلام المسرح الفرنسي يقول : « لن يكون هناك مسرح بمعنى الكلمة إلا يوم تجد رجل الصالة يتمتم بنفس الكلمات التي يهمهم بها رجل المسرح في نفس الوقت وبنفس القلب . » نعم لا يمكن أن يكون ذلك إلا يوم يصير رجل الصالة ورجل المسرح والمؤلف وكأنهم شخص واحد؛ ولابد لهم لذلك من ميدان معنوي مشترك . هذا الميدان يستطاع العثور عليه بسهولة في مجتمع سليم التكوين ، فيه شيء كثير من التجانس ، يجتمع على الاعتراف ببعض الخير لأنه خير ، وببعض الشر على أنه شر ، وببعض الحق على أنه حق . أما إذا كان المجتمع مهلهلا لا تجانس فيه فإن مهمة المؤلف تعتبر من أشق الأمور . ففي هذه الحال يتعسر على الشاعر أن يتفق ويصعب على الكاتب أن يخاطب جمهوره بلغة يفهمها الجميع . ولكنه حتى في هذه الحال لن يعدم أن يجد بذوراً طفيفة لآمال ومخاوف مشتركة . وحينئذ فعليه أن يتخذ منها نقطة ارتكاز يصدر عنها في مسرحيته ، وأن يتخذ من مسرحيته ومن نشاطه في الأدب المسرحي وسيلة لتقريب ما تنافر من عقلية أبناء وطنه . وهنا يبدو لنا بعض ما يستطيع المسرح أن يقدم للوطن وللمدنية من خدمات . فمن الخطأ إذاً أن ننظر إلى المسرح (على نحو ما يفعل البعض) كما ننظر إلى حجرة مغلقة تدور بها بعض الأحداث ثم رفع منها أحد حوائطها فأصبح ما يجري بداخلها على مرأى من المارة ، ولكنهم يشاهدونه مبهوتين دون أن يستطيعوا المشاركة فيه بعقولهم وقلوبهم ، بل دون أن يفهموا شيئاً منه ؛ وإنما يجب أن ننظر إليه كقصة منصوبة في ميدان عام تمثل عليها أحداث ، وتتصارع قوتها أفكار وميول وعواطف تتصل بنفوس الشاهدين جميعاً . فهو لذلك مكان التبادل النفسي بمعناه الصحيح . وعلى الكاتب المسرحي أن يدرس في الحياة نفسها شروط هذا التبادل وأن يستخرج قوانينه حتى يضمن تحققه في عمله ، وحتى لا يكلم الجمهور بلغة غير لغته .

فالفن المسرحي يقتضي وجود عادات ووجود مجتمع ووجود شعب بأنبل معاني الكلمة .

فالفن المسرحي ليس فناً مغلقاً ، ولا مما يؤجل تحقيقه خارج الكتاب الذي كتب فيه ، بل فن مفتوح ، فن الساعة التي يكتب فيها .

محمد القصاص
دكتور وأستاذ في الآداب من جامعة باريس

أمام أبي الهـــول

للأستاذ راجي الراعي

يا إلهَ الصمت ، ويا ملتقى الأسرار ، ويا عقدة الألسنة ، ويا مثال المتأملين !

أيها الأسد الرائع المتحفز منذ القدم للوثوب على فريسته التي لم يجدها بعد ... يا رهيب الفراعنة ، ويا رفيق « الأهرام » ، ويا عجيبة المصريين ... أيها المتكبر الجبار الذي لم يخفض رأسه لأحد في الدنيا ، وقد مرت كلها من أمامه ... يا مصيبة الثرثارين ويا محتج الحائرين ... أيها الضاحك الباكي ، السعيد البائس ، الحائر المهتدي ، الظل الساجي ، القوي بأهرامه ، الضعيف برماله ، الجريء بصدره ، الحكيم بلسانه ... أيها البحر الذي تلاطمت فيه أمواج الأسرار ولم تنفث زبدها ... أيها الناسك الذي لم يؤمن بالعالم فأقام في سومعة الرمال وانقطع إلى ربه ونفسه ، الناسك الأكبر ، زعيم الناسكين ، تدق له نواقيس الذكرى في أودية التاريخ التي تعاقبت عليه ، ومن يستطيع أن يحصيها ؟

أيها المثل بالذكريات غمرته بخمورها فلم يقو على العربدة ، وكيف يعربد الغريق ؟ وطوقته بجمالها وقبحها بجمد كالجنون وتمكأ كأت عليه الخلائق ...

أيها البطل الضائع الذي ازدحمت في بطولته مشاهد القرون على مختلف ضروبها وألوانها فضاق بها ذرعاً ولبث مكانه لا يبدي حراكا ...

أيها المبرد بوسادته الحجرية لظى المغرمين ، المخجل برباطة جأشه المذعورين الفارين ، المحطم بصخرة حيرته وشكه سفينة المهتدين ، المرس بفصاحة عينيه زمرة المعربدين ، الهازئ بالعابرات والعابرين ، الضاحك على الأذلاء الخانعين ، الباكي على الضاحكين !

يا أبا الهول الذي هالته نفسه فلم يعرف أين يضعها وكيف يعبر فيها ، ويا فتنة النيل ورب الوادي ... أيها الأمين الأكبر الذي يحمل مفاتيح التاريخ ولم يخن واجب الأمانة ، أيها البريء مع المجهول عهداً يحمده عليه الملوم ، أيها الغارق في لجج اللانهاية ولم يبلل ثوبه ... أيها المبسوط في حجره المتكمش في تصلبه ، أيها الطليق بعينيه السجين بين أغلاله ، أيها الناظر إلينا نظرته الغريبة بين صممه وبكمه كأنه يفتش بين السماء والأرض عمن جاءه بالصمم وعقل لسانه ليصفعه ويضمه إلى قلب رماله ...

أيها الواقف بين الماضي والمستقبل كأنه الصلة المفقودة التي نفتش عنها ! أيها الرجل العجيب الذي لم يتحرك بعد في هذا الجيل ، والكهرباء تشع في وجهه ، والطائرة تحلق فوق رأسه ! أيها الصابر صبراً دهشت له الأرض التي تصبر على موتاها ، ودهش له البحر الذي يصبر على غرقاه ...

أيها التمرد الأكبر ، أيها الحاكي الذي يردد أصداء الإنسانية ، أيها السعاد الذي يحصي فضائل الخليقة وعيوبها وساعات نعيمها وبؤسها ...

يا أبا الهول !

أتيتك بعد تلك القرون التي توالت على رأسك .. أتيتك في القرن العشرين متأخراً ، وتفرست فيك ، فخطرت لي النعوت والأسماء التي كسوتك بها ... رأيتك بعيني ولا أدري بأي عين رآك أسلافي ، وحرت فيك كما حاروا من قبلي ، ورمتني الحيرة بين أمواج الخيال فتخبطت في أسرارك ، وغرقت في أوصافك !

ما هي حقيقتك يا سيدي وأين هي ؟ وهل أنت تجهلني كما أجهلك ؟ من أنا ؟ أنظر إليّ جيداً ... أقوي أنا أم ضعيف ؟ أسعيد أنا أم بائس ؟ أنا كاتب يعرض في القراطيس رسوم النفس والحياة ... فهل أطربك قلمي ، وهل رأيت رسوي ؟ ؟ هل أنت شاعر بي ، أم أنت تنظر إليّ وترى نفسك ؟ !

قل لي أبا الهول : ألأمسي أنا أم لغدي ؟ وأين هو رقمي في جدول الإنسانية ؟ وهل في جبيني السطر الذي تفتش عنه منذ القدم ؟ أصحيح أنا في عقيدتي أم غلطي ؟ أنا للشاعرية ... فهل في حجرك من شعري ؟ وهل الشعراء في نظرك هم الناس ، وهل في صدرك الغامض فؤاد رحيم ؟

أتيتك أسألك عن حقيقتك وحقيقتي ، فهل من جواب يخرج من فمك ويريحني ؟ أما تاقت نفسك يا صاحبي إلى الكلام ولو مرة واحدة ، ألم تسأم الصمت ؟ ؟

حدثني .. وإن كنت معقود اللسان ، ففي عينيك الجاحظتين ألف بيان وبيان ... لا تخش أن تبوح لي بسرك ، فقد هجرك الناس وجئتك وحدي ، وفي هذا الدليل على حبي وإخلاصي ...

إن في رأسك حلماً كبيراً قديماً حار فيه لسانك ، وسقط تحت أثقاله صدرك ، فجثمت مكانك صابراً صبر الأسياد لا صبر

فلسفة طاغور الروحية :

مشكلة الشر
في ضوء وحدة الوجود

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

إن اعتناق طاغور عقيدة وحدة الوجود لم يضف جديداً للفكر الهندي ، بل هو أخذ من القديم ، وتريد لنفحات حكماء السابقين . وإن تدعيمه هذه العقيدة بتوضيح ما يكتنفها من إبهام ، وما يشيع فيها من إشكال ، أو بثه لها في قالب شعبي يجدد من حيويتها ، ويذيعها بين العام بعد الخاص ، ولئن كان فيه شيء من الجدة فإنها لا تظهر طاغور إلا بمظهر المدافع عن تراث ديني عتيق . وإنما الذي يفصح عن إبتكاره الفكري ، هو إستعانته بهذه العقيدة في تدعيم المبادئ الأخلاقية ، وتفسير ما يشوب الحياة الإنسانية من شر ، وما ينتابها من سوء .

وإن كان في تصور تجلي الله في مكونات الوجود في صورة قانونها العام شيء من البراعة الفكرية ، فإن تصور حلول الله في الإنسان على صورة القانون الأخلاقي ، ينم عن مهارة روحية فائقة ، تظهر قدرة طاغور اللاتكية في كيفية إحكام ربط الإنسان بالله ، إذ جعل أفضل ما في الإنسان مستمداً من الله ، واتخذ من أنبل ما يحتويه كيانه من قيم روحية سبيلا لتحقيق اتحاده بخالقه اللانهائي . وإن كان هناك كثير من البشر يعصي أوامر القانون الأخلاقي ، الذي ليس إلا قبساً من نور الله فاض به على الإنسان ، فظهر فيه في قالب فطرته الخيرة ، التي تحارب الغرائز البهيمية والشهوات المنحطة ، وتقاوم سحر ملاذ الدنيا ، وتدفع إغراء متعها المادية ، كما تظهر النفس من كل ما يمكن أن يتسرب إليها من دنس ، وتخضع حياة الإنسان للقيم الفاضلة ؛ فإن هؤلاء الذين يعصون هذا القانون الخلقي ، ولا يؤمنون بسيادته على النفس ، يعتقدون أن متعتهم الخاصة يجب أن تكون قانون حياتهم الوحيد ، ويفضلوا أن يتمردوا على فطرتهم الخيرة على

السيد ... لقد أتعبك حملك من السير ، وملأ نفسك فلهوت به عن الناس ...

حدثني أيها الهول : ما هذا الحلم الذي تنسج خيوطه على مهل ؟ أما حان لك أن تسترجع ؟ لقد طال حملك وطال صبري !

بما ذا تفكر ؟ أبالله وسمواته وكواكبه ونجومه ، أم بالقرون التي مرت بك ، أم بهذا العالم الفاني ، أم بي ؟ !

حدثني .. ولكن لا ، ابق صامتاً ، فإني أخاف إذا تكلمت أن لا يقال بعد ذلك : هذا (أبو الهول) ... إن صمتك حديث الناس ، وقد لا يكون حديثك حديثهم ، فما يدريك أن تكون الكلمة الأولى التي تنطق بها وبالا عليك ، ودليلاً على أنك لم تكن إلا حجراً .. ابق صامتاً ... إن قوتك في صمتك ... أنت ملك الصمت ، فلا تخلع عرشك بيدك !

ولعلك فقهت معنى الحياة ، فرأيت أن الصمت خير ما فيها ، أنت صخرة اقتطعتها السموات من جبال عظمتها وأمجادها ، فكبرت نفسك حتى أنفت أن يكون اللسان وقفها وترجمانها ورسولها ، وهل يصلح اللسان ، هذا الوتر الضعيف المزعج ليعبر عن أسرار النفس والطبيعة ؟ هل يقوى على اثبات في ساعة النفس الكبيرة إذا ثار بركانها ؟

انظر إلى الفيلسوف كيف يمرس ساعة يصطدم بالمجهول ، وإلى المجندي كيف يُعقل لسانه ساعة يصطدم بالخطر ويسافح الموت ، وإلى الفنان كيف يصمت صمته العميق ساعة يسحره الجمال ، وتختل الشاعرية أعماق قلبه ... وانظر إلى الفقير الذي شرب ثمالات الكؤوس كيف يعجز عن النطق وفي فمه كل دمومه ، وإلى المؤمن الناسك كيف يقطع لسانه ليتصل بالخالق ، وإلى النسور والأسود كيف تأوي إلى عزلتها وصمتها وترتفع عن الخلائق ...

ابق صامتاً ، أيها الهول ، فقد يكون في صدرك كثير من الحسد والضغينة والرياء والضعف والكبرياء والطمع واللؤم ... وأنا لست بحاجة إلى نفث سمومها ، فيكفيني ما يغشاب في طريق من الأفاعي ... يكفيني هذا الإنسان الذي يوزع لسانه الشقاء في العالم ويكشف ما انطوى عليه صدره !

ابق صامتاً ، فلا أدري ما وراء صمتك ... إن كنت إنساناً فزميلك يكفيني ، وإن كنت من جماعة « الأولمب » فابق بين آلهتك ...

ابق صامتاً ، فالصمت أرحب من الكلام وأبلغ لأنه يحويه !

راجي الراعي

أن يستسلموا لها إذا تعارضت مع قائدتهم ، ويقبلون أن يقبروا أهواءهم الخبيثة ما دامت ترضى رغباتهم الجشعة . وبذلك يضحون المجال لهذه الرغبات لأن تعيث فساداً فى النفس ، وتملأها بأنانية بشعة طاغية ، تحبسها فى سجن رهيب من المصالح الخاصة ، لا تسمح لها بأن تخرج من دائرة الذات الضيقة إلى ساحة المجتمع الإنسانى ، بل تبذر فيها بذور الطمع ، وتلقنها فنون إقتراف الخطايا ، فتغرق فى بحر من الآثام ، وتقع فى وهدة الشر ، فتغيب عنها معرفة الله الكامن فى أغوارها على صورة ذلك القانون الذى أبت أن تخضع له ، وتتقيد به .

وبذلك يحجب الإثم والشر عن النفس إدراك قانونها العام ، ويسلبها حب الذات القدرة على تحطيم أغلال الأنانية ، فتحيد عن طريق وحدة الوجود ، وتعجز عن معرفة أن جوهرها يتضمن أكثر من وجودها الفردى ، وتحقق فى الإحساس بالله الذى أودع فاته فى طياتها ، وبالتالى تفشل فى الكشف عن اتحاد الله بسائر الأشياء ، وتخيب فى تحقيق كمالها الروحى ، ولا تتمتع بالحياة فى كنف حقيقة الحياة الأولى ألا وهى حقيقة « وحدة الوجود » .

وخروج الإنسان عن طاعة قانونه الخالق مرده إلى أن الله وإن قيد الإنسان بضرورة الخضوع لهذا القانون ، ترك له حرية تامة فى طاعته أو عصيانه ، كما منحه إرادة حرة لها التصرف فى الشئون الدنيوية ، ولم يلزمه بفعل الخير أو تجنب الشر ، لأن فطرته تسمح له بأن يميز بين الخير والشر ، وتمكنه من أن يسلك طائعاً مختاراً الطريق السوى . لأن فى النفس الإنسانية نوعين من الرغبات : أحدهما خاص والآخر عام . والرغبات الخاصة تجرى وراء المطالب الذاتية ، وتقف عند حد الفوائد الشخصية ، بينما الرغبات العامة مطالبها تتعدى كل ما هو ذاتى ، وتنشد خير كل ما هو كلى مثل الأسرة أو الوطن أو الإنسانية . وإرادة الإنسان يمكنها أن تسير تحت ضغط أى النوعين من الرغبات ، وتملك القدرة على تغليب سيطرة الرغبات العامة على الرغبات الخاصة .

فإن خضع الإنسان لقيادة القوانين الأخلاقية ، وتحكم فى أهوائه وترفعه سار فى طريق الخير ، وإن اتخذ من الإيثار والتضحية سبلا لسعادة الغير ، فهو لا شك ساهم فى خدمة أهله ، ومشارك فى إصلاح وطنه ، ومجاهد فى سبيل ترقية الحياة الإنسانية عامة . وإن بذل نفسه ورخيصة من أجل عشيرته أو بلاده ولم يكترث بما يعانيه من حرمان ، فقد عرف كيف يذيب الأنانية ، ويقضى على حب الذات فى نفسه ، وإن آثر على تحقيق خير البشرية ولم يحل دون ذلك ما يقف أمامه من صعوبات ، فإنه يعد لنفسه طريق الاندماج فى الله . وعلى يد هؤلاء الذين فازوا بسرور غير محدود ينبع من الحياة فى حقيقة وحدة الوجود ينال البشر سعادتهم ، ويتخلصون من كل ما ينغص عليهم حياتهم من شر ، وينتشر بينهم الخير .

أما الذى يأبى أن يخضع للقوانين الأخلاقية ، ويركب رأسه ويريد على الدوام أن يستولى على ربح خاص لا يشاركه فيه أحد ، أو يحظى بمزايا لا ينافسه فيها إنسان ، فإنه فضلاً من أنه لن يهتدى إلى حقيقة وحدة الوجود ، ولا بد أن يصطدم برغبات الجماعة ، ويدخل فى حرب مع كل نفع عام عندما يعرقل نفعه الخاص . وذلك يشيع التفرق والتنابذ بين أفراد المجتمع الإنسانى ، وينشر بينهم التكالب على المصالح الذاتية ، بل يحطم ما يربطهم من علاقات محبة وتعاون ، فتنحل أواصر الأسرة ، ويتفكك كيان الوطن ، وينعدم الأمل فى تآلف دول العالم ، ويتقلب النظام الطبيعى فى الحياة إلى فوضى ، فيضع القوى قوانين جائرة يدعى أنه وضعها لتنظيم المجتمع ، بينما هى تستمد أصول تشريعها من أشرار الأنانية ، وتعتمد على القوة والوحشية فى تنفيذها ، وتبتدع أساليب جديدة فى إذلال الإنسان الوديع واستغلال الشعوب المتأخرة .

ولكن إذا أمعن فيه ، وصمم على أن لا يحيد عن طريق حب قائدته ، واستكبر أن يطيع أوامر القانون الخلقى ، سيلبث فى صراع عنيف مستمر مع صالح الكل ، يستفحل أمره شيئاً فشيئاً إلى أن يقضى عليه آخر الأمر . وهذا مصير كل فرد يقف فى وجه الجماعة ، ولذلك يجب على الإنسان أن يكبح جماح غرائزه وشهواته التى تلح فى طلب المنافع الخاصة ، وتوهمه بأن هذه المنافع هى غاية حياته ، وتحرضه على أن لا يسلم أعنة النفس للقيم الروحية التى تطلب منه أن يعيش لغيره كما يعيش لنفسه ، وأن يضحى برغباته الشخصية إذا تعارضت مع سعادة النفس الكبرى التى تشمل حياة الإنسانية بأجمعها . والإنسان العاقل هو من يوفق بين الرغبات التى ترضى النفس الفردية وبين رغبة إسعاد المجتمع الإنسانى ، لأن كل من يحاول أن يقف وحده فى وجه قوى المجتمع ، ويرغب فى أن يحصرها فى نطاق قائدته مصيره

إلى الشعور . إن سجل التاريخ الإنساني لحافل بالثورات العظمى ، التي تشهد بأن الجزء حينما يحتقر الكل ، وينشد لنفسه منافع خاصة من دون الجماعة ، ويسير في طريق منفصل عن طريقهم ، لا بد أن تثور ضده القوى الكلية ، وتشن عليه حرباً لا هوادة فيها حتى ترغمه على أن يسلك طريقها العام صاغراً .

يتضح مما تقدم أن نار الشر تندلع من شرر عصيان الأوامر الأخلاقية التي تنذر بأن الأنانية ستسود حياة الفرد ، وأن الإرادة ستسكن لسيطرة الشهوات والغرائز ، التي تفسد الناحية الخيرة في النفس ، وتتلف مقوماتها الروحية وتدفعها في طريق الخطايا والآثام ، وتوهمها بأن ذاتها هي غايتها الوحيدة في الحياة ، وأن لا عمل لها إلا الجري وراء غنمها الشخصي . ومثل هذه الأهواء الشريرة تخيم على البصيرة فتحجب عن الروح إدراك الله المستقر في قرارة النفس على صورة القانون الخلقي ، فيضل الإنسان في غياهب الشر ، ويبعد عن طريق وحدة الوجود . كما تلائم هذه الأهواء الفردية الحياة العامة وتعرقل تقدم المجتمع الإنساني ، وتسوق التآزر بها إلى حوض غمار حرب مع قوة العواطف الخيرة ، أو يصطدم بالمصالح العامة ، لأنها تؤذي أغلبية القوم وتضر بمنافعهم ، وتوقع عليهم ظلماً وجوراً لا تصبر عليه النفوس طويلاً ، وسريعاً ما تتآلب عليه وتحطمه ، وتضع الحق في نصابه ، وتسلب من الظالم أداة ظلمه ، وترده إلى طريق الصواب ، وتجبره على أن يفضل الخير للجميع .

فرغبة الشر رغبة ذاتية عرضية ، لا تدوم إلا بدوام سيادة الأنانية على النفس ، وتزول عند مثول رغبة الخير التي تنسجم مع القانون الأخلاقي . أما الشر في حد ذاته فحقيقته سلبية غير ثابتة ، ولا ينفك يتحول في مظهره إلى أن يصير على آخر الأمر خيراً يعم الجميع ، لصراعه الذي لا ينقطع مع قوى الحق التي تنشد حقيقة وحدة الوجود . ومثل الشر في تغيره هذا مثل الفلسفة الفكرية التي يأخذ العلم في تنقيحها وتصحيحها شيئاً فشيئاً إلى أن تصير حقيقة ثابتة .

بينما رغبة الخير يقويها في النفس الإيمان العميق بأن الله أودع فطرة الإنسان على صورة القانون الخلقي ، الذي يجب أن تتمسك به كل عاقل ، ويرضى رضاء تاماً أن يخضع لتعليماته وإشاراته . والخير قبس من لدن الله ينير سبيل الروح نحو وحدة النفس الإنسانية ، ويهديها إلى الكشف عن أوجه الله المختلفة في أعماق الكون ، فمن رغب الخير سار في طريق وحدة الوجود وأتبع هدى رغبة كلية إيجابية تتمشى مع أغراض الحياة العامة وتدفعه دفعاً حثيثاً نحو الرقي والسعادة ، وتحصن بقوة لا ترهب نيران الشر المفترسة ، وتسحق الأنانية في النفس . إن تعاور الحضارات ، ودأب الإنسان المتواصل في الوصول إلى أرفع درجات الكمال ، لأوضح دليل على أن الخير يتغلب على الشر ، وأن الخير تنازع الأنانية ، وأن الوحدة الإنسانية تبتلع كل وحدة فردية ، وأن العالم في طريقه نحو وحدة الوجود .

فليس هناك ما يدعو للاعتقاد في أن الحياة شر في شر ، أو تسير من الشر إلى الشر ، ولا خير فيها على الإطلاق ، ولن ينجو فيها أحد من سوء . لأن الشر فوق أنه حقيقة سلبية متغيرة غير ثابتة على الحال ومآلها للزوال ، لا يمكنه أن يعوق تدفق تيار الحياة أو يعرقل تحقيق مثلها العليا في الخير ، أو يفتت من عزم الإنسانية الوطيد على الفوز بحقيقة وحدة الوجود عن طريق التمسك بالقانون الخلقي الذي هو إحدى آيات الله التي تكمن في شتى الموجودات . وأن ما بلغه الانسان من تمدن ليشهد على أن الشر ليس له من القوة الإيجابية ما للخير ، ولا يقدر أن ينضب ينابيع الخير التي فاض بها الله على الحياة الانسانية ، بل إن ما في الوجود من شر يلاحظ أنه يتلاشى تدريجيا مع تقدم الحياة المستمر ، بينما ما يتحقق من خير تبقى أصوله ثابتة في أعماق الحياة ، ويبدو أثرها في مختلف نواحي النشاط الانساني . فالحياة تتحرك دائماً نحو الخير متخذة منه وسيلة لتثبيت أركان الوحدة الانسانية ، التي عن طريقها تسير البشرية خطوات نحو وحدة الوجود .

أما ذلك الشر الذي ينتشر في الكون ، ويقاسي منه البشر كافة أصناف الآلام ، ليس دليلا على أن الحياة في أصلها تجلب الشر ، وإنما هو علامة على أن الحياة الإنسانية لم تبلغ بعد كمالها الأقصى الذي يجب أن تبلغه ، وأنه ما زال أمامها مراحل شاقة من التضحية والإيثار عليها أن تبذلها ، حتى تصير حقيقة وحدة الوجود حقيقة حية في القلوب ، فينعم الجميع بالراحة والسعادة والطمأنينة والأمن وينجون من ظلام الشر الذي يثير القلق ، والخوف والحزن في النفوس .

عبد العزيز محمد الزكي
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأيوبية

ختام قصة :

من الأعماق

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

... وظل الشابان فى تردد وحيرة ، والفتاة فى الدار لا تجد الخيرة من أمرها ، وهى قد وافقت منذ حين على أن تتزوج من جلال ...

وأصر جلال على رأيه فى تشبث وعناد ، لأنه خطب الفتاة إلى أبيها فوجد منه الرضا والقبول ، ووجد من أمها العطف والحنان ، وألف فى أهلها الصاحب والرفيق . وأهله يتأهبون — منذ حين — ليوم الزفاف وهو قريب . على حين قد أخذ هو يستعد لما بعد هذا اليوم — لشهر العسل — فى سرور واستبشار .

ما ذا يضير الفتى بعد ، وإنه ليدخل إلى دار الفتاة فيجد من يستقبله فى حفاوة وإيثار ، ومن يتحدث إليه فى رقة وحنان ، ومن يبذل له العطف والمحبة ، ومن يحرص على راحته وهدوئه ، وأخيراً يجد من يودعه فى حرارة وشغف .

وأحس فكرى بك بأن فى شباب جلال وقوته ما يبعث فى الدار الحياة والحركة ، وما يرسل فى قلبه الهدوء والطمأنينة ، واستشعرت الأم فى الفتى النور والبشرى . لقد انبثق هذا الشعور فى قلبيهما توباً عميقاً ، لأنهما عاشا عمراً يلتمسان الابن (الذكر) فلا يجدانه ، والرجل ذو ثراء وذو حاجات ، يقعده عن أن يشرف على كثير منها ما يحس من وهن وضعف من أثر الشيخوخة التى تدب فى مفاصله رويداً رويداً . وهذا أخوه الفلاح يسيطر على رغباته ويختال ماله فى عنف ، وهو يقوم على حاجات العزبة ، ويدير أمورها ، ويستبد بشئونها ، ثم لا يرسل إلى سعادة اليك إلا فضلة ما يبقى من فلات أرضه ، واليك لا يستطيع أن ينزع الأطيان من بين يدى أخيه فتضطرب شئونها ويختل أمرها وما له عهد بإدارتها ، ولا أن ينال حقه بقوة القانون فتلوكه الألسن ، ويتندر به الفلاحون فى مجالسهم .

والآن ، جاء جلال — بعد لأى — ليكون ابناً فى الدار لتنبض بالحياة والنشاط ، وسيدأب فى العزبة ليزيح عنها هذا الكابوس الجاثم على خيراتها ومنافعها

كل أولئك غشى على عينى الفتى فلم يلق باله إلى هذا الشحوب البادى على وجه الفتاة فيعصف بنضارتها ورونقها ، ولا إلى هذا الفتور الذى يستلبها من إرادتها حين تلقاه . ولم يزعجه هذا الفتور الذى يلمسه دائماً ، فهى لا تأنس إليه إلا ريثما تنفلت من لدنه . ولم يضايقه أن لا تبسم له إلا ابتسامة جافة عابرة يتبجس من أضعافها معنى الألم والحسرة . فهو لا يحس أنها تنطوى على بغض له ما تستطيع أن تبوح به خشية أن تجتاحها ثورة الأب ونقمة الأم . إنه لفى شغل عن ما يختلج فى أعماء الفتاة ، لأنه سعيد فى هذه الدار ، سعيد بالضجة التى تكتنفه هنا وهنالك ، سعيد بالزواج من هذه الفتاة الجميلة الزكية . غير أن خاطرة كانت تحوم حول عقله توشك أن تلجه فيدفعها عنه فى شدة وعنف ، خاطرة نبت غرامها فى قلبه منذ أن تحدث إلى عادل حديثه وحديث الفتاة ، فوجد منه الإصرار والعناد ، لقد استطاع أن يوهم نفسه بأن الفتاة تلقاه فى مهوم وسمت من أثر الحياء والخفر ، وأنها تنزوى عنه حين تريد أن تتصنع الدلال والمنع ، وهو حين يسيطر عليه الشك يتخيل بأن خلجات نفس الفتاة نزوة طائشة من نزوات الشباب لا تلبث أن تهدأ وتستقر .

وانطوت الأيام تدفع الشكلة إلى نهايتها .

* * *

أما عادل فكان يرى الحوادث حواليه تضطرب وتندفع إلى غايتها ، وما له يد يدفع بها هذه العاصفة وهى توشك أن تلفه فى غير رحمة ولا شفقة . لقد كان يلقى فتاته بين الحين والحين لا يستطيع أن ينزع نفسه عنها ، ويجلس إلى جوارها يتحدث إليها ، وإن قلبه المكلوم ليئن أنيناً يسمع ويرى ، وهو يوارى زفراته الحرّى ، ويدارى عبراته الساخنة خلف ستار من الرجولة والكرامة .

ولكن عين الفتاة كانت تنفذ إلى ما وراء الحجاب فلا ينطلى عليها هذا التصنع وهى ترى فتاها ينهد من حزن عميق ، ويتضعضع من أثر الصدمة . وهو يرى فتاته تذوى وتذبل لأنها تفتقد إلى أمس .

آه ، ليت هذا الفتى المرح الطروب ينطلق على سجيته فلا

يدع الأوهام الكاذبة تكبّل روحه الوثابة !

وضاق عادل بما يجد ، فانطلق إلى أبيه في القرية يطلب لروحه وترفق الأب الشيخ بابنه الشاب وهو يحدثه : « يا بني ، وما ذا عسى أن أفعل والفتاة قد سميت على فتى آخر ؟ أفترانى أستطيع أن أطلب إلى فكرى بك أن يطرد خطيب ابنته في غير ذنب لتستقر أنت مكانه ؟ إنني — وقد عركتني الحياة — لا أومن بالحب ، وهو خرافة قلبية خلقها الشباب ليغرر بها ثورات الطيش وبدوات الزلق ، والحياة الزوجية — في رأى العاقل — دار وزوجة وأولاد . وغداً تظم حاجات الدار على ثورات القلب ، وتمسح تكاليف الحياة على نوازع النفس ، وتبدو الحياة أمامك طفلاً يدرج في فناء الدار ، ثم صبياً يتقلب في المدرسة ، فإذا هو شاب تنمحى حاجاتك أنت لتفسح الطريق لما يطلب هو ، فتبذل له المال والنفس والروح جميعاً ... ولكن ، ألا تعلم شيئاً عن الفتى الذي تزعمه غريماً لك ؟ » قال عادل : « أنا لا أعلم من أمره شيئاً ، ولم أجلس إليه إلا مرة واحدة في مقهى على النيل من مقاهي الجيزة . لقد جاء ليحدثني حديثه ، ويطلب إلىّ أن أنسحب من هذا الميدان كي لا أخلق الشكلة التي يعضل حلها . إنه فتى وسيم الطلعة ، رقيق الشباب ، عليه سيما القوة والجد ، وعلامة النعمة والثراء ، وهو هادئ الطبع ، لين الحديث في غير ضعف ... هو جلال بن عزت بك » !

وبدت الدهشة على وجه الأب حين سمع هذا الاسم ، ونظر إلى ابنه نظرة صارمة ، ثم راح يقول : « الأمير الاى عزت بك ! إنه رفيق الصبا ، وترب المدرسة واللعب ، وصديق الشباب ، وإنه مني بالمكان الذي أحرص فيه على رضاء لأيادٍ كثيرة له عندي . هذا أمر لم تكن تعرفه من قبل . وهكذا ترى أني لا أستطيع أن أزجه في أمر اختاره لابنه وسبقني إليه . ولا ريب في أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتماً إلى أن تبقى عليّ وتنزل عند رأيي ، فدع عنك هذا الأمر ، دعه وأنا أختار لك من تشاء لتكون زوجاً لك ، وأبذل لك الجهد والمال لترضى ! »

وخرج الفتى من لدن أبيه يتشرف في خيبته ، وإن قلبه ورجولته ليتجاذبانه ، فما يدرى ما ذا يفعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً . الآن — وقد سدت الأبواب جميعاً في وجهه — لم يبق أمامه إلا أن يتوارى عن عيني الفتاة إلى الأبد . ولكن رجولته أبت عليه أن ينسل خفية كما يفر الجبان الرعديد من الميدان تحت ستارين من الظلام والسكون .

لقد عقد العزم على أن ينسحب مثلما يرتد الجندي الماتي الجبار حين يرتد في وضح النهار ووجهه دائماً قبالة العدو ، لا يطأطئ رأسه ولا تذل هامته ، فذهب إلى الفتاة يعلن أمامها رأيه في قوة وصراحة .

وجلسا معاً في ناحية من حديقة الدار . لقد جاء يعلن لها رأيه ورأى أبيه . ولكنه تخاذل أمام جمالها الآسر وهو إلى جواره يشع حياة ونوراً ، وتداعى أمام حبها المتأجج وهو يتألق في روحه بهجة وروعة ، فأمسك عن الحديث . أفكان يطمع في أن يمد في عمر سعادته قبل أن يفترقا إلى الأبد ، أم كان يشعر بأن في كلماته صفعات عنيفة فهو يؤجل حيناً بعد حين رجة بقلبين ؟ ولكن صوت أبيه الشيخ رن في أذنيه ينادي : «ولا ريب في أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتماً إلى أن تبقى عليّ وتنزل عند رأيي » . فهمّ متدفعاً يعلن رأيه ، وانطلقت كلماته هينة رقيقة ولكنها وقعت على قلب الفتاة الساكنة في مثل قوة العاصفة العاتية فأجهشت البكاء ، وانطلق صوب الباب يريد أن يهرب من ضعفه

لقد انطلق عادل ليهرب من ضعفه ، ولكنه ما كاد يقترب من الباب حتى ارتطم بشاب يزحمه الطريق : هو جلال . لقد رأى جلال بعينيه .. رأى الفتى والفتاة في ركن تحت شجرة من أشجار الحديقة يستمتعان بالخلوة في منأى عن الرقيب ، فوقف ينظر في ذهول وغيظ وحديثهما لا يكاد يبلغ مسمعيه . وحين انطلق عادل صوب الباب أخذ جلال عليه الطريق ، ولكن عادلا لم يعبأ به وانطلق في طريقه دون أن يلتفت إليه ، يريد أن يهرب من ضعفه

وحز في نفس جلال ما رأى ، فانطلق إلى الفتاة ربّت على كتفها ويقول في غيظ وكمد : « لا تحزني يا فتاتي ، لقد رأيت وسمعت . والآن أنتحى أنا لتجدي السعادة والرفاهية إلى جانب الحبيب» . ثم اندفع إلى أمها في ثورة تفور وتثل يقذف في وجهها بخاتم الخطوبة .

لقد خسرت الفتاة الحبيب والزوج في وقت معاً ، وجلست في زاوية ، وإن شبح ابنة عمها ليضطرب في ناظريها كلما ذكرت الخطبة والزواج ، ابنة عمها التي أشرفت على الأربعين ولما تجد الزوج.

فاضل محمود حبيب

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

— ٤ —

ايطاليا تسترد فزان :

حينما يتكلم جراتزياني تنصت السموات العلا ويفتح الناس آذانهم ، إلا أهل فزان فهم لا يتركونه من غير أن يناله رذاذ من نقدهم : أنظر إليه يقول : « لا توجد على الأرض دولة يوسعها إن تفخر أنها ختمت حلة استعمارية بالنصر الذي ختمنا به حملتنا على الكفرة وفزان : ليس بوسع الفرنسيين أن يدّعوا شيئاً من ذلك ، بل نؤكد أمام العالم تفوقنا عليهم رغم الانتقادات التي توجه إلينا من سكان ما وراء الألب (يقصد فرنسا) أو سكان ما وراء المانش (يقصد بريطانيا) » .

ثم انظر إلى ردهم الحاسم بعد فتحهم فزان في سنة ١٩٤٣ فيما نشره الفرنسيون بسخريتهم المعروفة :

qne répondre à telle vsntardises
beau de lion dovt.d'ln oonp de griffe nos troupes ont dépouillé , maître crszlani

أنصت إليه في مؤلفه :

يحدثنا من نفسه : Pace Romsna In libia

« ها قد أعطيت الكلمة لتحكم السيف وإنها لكلمة مقدسة حينما نريد أن نفرض إرادتنا على خصم عنيد ؛ إنها مقدسة ولمائة مرة حينما تقذف في وجه الأهالي الوطنيين الذين صمت آذانهم من سماع أي منطق إلا ما توجيه إليهم مقولهم المميجية ، أولئك لا يفهمهم شيء سوى استعمال القوة تصحبها العدالة » .

أرأيتم مثل هذا إلا في عهد قيصر ! ! !

فهو إذن يشيد بعمل الحكومة الفاشية التي قررت فرض إرادتها باستعمال السلاح يقول إن سياستها تتلخص في جملة واحدة « أصبح من المهم الخروج من الحالة المبهمة السائدة في المستعمرة وأن تفرض إرادة الحكومة على كل جهة ، وأن يكون فرض التسليم والخضوع شرطاً نهائياً Sine qua non لكل عمل سياسي مع الأهالي ، فعلى كل من يباشر أي سلطة حكومية أن يواجه أهل البلاد بهذه الحقيقة التسليم بلا قيد وشرط أو الحرب بلا هوادة » .

وكانت هذه هي السياسة التي نادى بها غوليي والذي وقف من أول الأمر ينادي « بأن حق إيطاليا من الناحية الدولية في امتلاك المستعمرة حق ثابت لا نزاع فيه ، وأن عناد الأهالي ما هو إلا ثورة يحركها بعض الرجال المتطلعين للسلطة تقودهم أطماعهم الذاتية فليس هناك روح قومية أو حركة وطنية تحركها عواطف عالية أو روح جماهيرية ، وإنما هناك أطماع وأغراض وأهواء : فلنضرب ضرباً قاسياً » وهل وجد المستعمرون في مدغشقر وفي أندونيسيا غير هذا المنطق ؟

وجاء جراتزياني ينفذ خطته لاحتلال فزان على طريقته الخاصة وإلا فانظر إلى تعليماته للوحدات التي يقودها : فهي تصور من نفسية يجدر بنا تتبعها :

١ — توزع قوات الاحتياطي على أنحاء الجبهة بطريقة تمكن من الاستفادة منها بغير إضاعة وقت ولكي يسهل تجمعها واستعمالها إذا احتاج الأمر إليها لضرب العدو ضربات قاصمة .

٢ — تقسم الجبهة إلى أقسام ، وأن يتولى كل في دائرته مطاردة العدو بواسطة أفواج متحركة Colonne mobibe تبدأ عملها من نقط ارتكاز مختلفة ومتباعدة ولكنها متجهة في سيرها إلى غرض واحد — أو تظهر أنها متجهة لأغراض متعددة في وقت واحد مع تلاقيها عند هدف واحد ، وبذلك تتوزع قوات العدو المتجمعة أو تتفرق أو تثبت في أماكنها .

٣ — يراعى أن تستعمل الوحدات على أساس العمل على جبهة واسعة الأطراف ، أي تعمل كل واحدة على أنها مستقلة تماماً في تحركها إلى أبعد مدى وتترك كل قواعد وأساليب التعبئة القديمة ، وتعتمد الوحدات على مرونتها في الحركة والتقدم والعودة بدون أن تلجأ إلى طلب مساعدة الوحدات الأخرى : يفهم من هذا أنه اتبع نظام دوريات دائمة متحركة بانتظام[1] .

وقد تبين من كتابته رأيه في المقاتلين العرب ، فهو لا ترهبه كثرتهم العددية بل يقرن النصر بالقرار الحازم والتقدم الشجوم ؛

(١) وهو ما اتبعه الصهيونيون في منطقة النقب .

قائلهم لديه اكتشاف أماكن تجمع الثوار ومهاجمتها بغير تردد ويوصي بأنه عند التلاقي يجب إشغال العدو وقبول المركة ، فإذا حاول الهرب الانسحاب لا تتركهم قوات الجيش ولا تمكنهم من الراحة واستعادة شجاعتهم ، بل يجب مع انسحابهم إصابتهم مادياً والفتك بهم حتى تفنى قوة المقاومة لدى العدو ولا يستطيع استعادتها .

ثم عاد فقرر « أنه لا يصح احتقار شأن الثوار ، بل يحسن إعطاؤهم ما يستحقونه وليذكر الطليان أن هزيمة العرب وإن بدا مظهرها قوياً في البدأ إلا أنها لا تستند على قوة دائمة مستديمة ، ولذلك تضعف وتهبط في النهاية فالقائلة من الثوار لا يسعهم أن يصمدوا في المركة طويلاً أمام قوات نظامية مدربة تدريباً أوربياً »

ويهمنا أن نتعرف إلى جميع آرائه فينا فهو يتكلم بصراحة ويوسعنا أن نصلح أخطاءنا دائماً إذا اطلعنا على مايكتبه عنا أمثال هؤلاء ويقرر « أن حاجات العرب في الميدان محدودة . ولذلك لديهم مقدرة فائقة على جمع وسوق قوات كبيرة واستعمالها في ميادين مختلفة والعرب مقاتل بفريزته وطبعه فهو لا يهاب المواجهة ولا يخشى التصادم ، ويعتمد على عاملين : مقدرته على التضليل ليصل إلى توزيع القوة التي أمامه وتفرقها حتى لا تعمل كوحدة متكاتفة وقوية ثم يعتمد على المؤثرات الافريقية التي تصيب الجيوش الأوربية وتسبب لجنودها التعب والإعياء حينئذ يضرب ضربته » .

ثم يعقب هذا بقوله : « إنه في كل مرة من تلجئهم الظروف إلى مواجهة حالة قتال تقرب من أساليبنا الأوربية ، ويتحتم عليهم قبول المركة يدب الخلل في صفوفهم ثم يسهل لنا التفوق عليهم لعدم تمكنهم من الوسائل الفنية العديدة التي بين أيدينا » على ضوء هذه التعليمات الصريحة قاد جرازياني جنوده في العمليات التي سبقت فتح فزان وهي عمليات بوليسية على حد تعبير إخواننا المولدين حينما يتحدثون عن جهاد الشعوب

وفي هذه الأثناء جاء بادوليو إلى ليبيا وتولى سلطتي الحاكم العام والقائد الأعلى « وكان هذا في نظر جرازياني فتحاً جديداً عبرعنه بقوله « بعد عشرين عاماً من التلكؤ والتردد والمزائم تسلم الأمور ليد عسكرية وتضع لأول مرة برنامج منسجم جامع وهي تطبيقه بإرادة قوية » .

وبهذا انتقلت السلطات العليا إلى العسكريين ، فأمر بأن تكتب هذه العبارة وتعلق على بابه « ليس لدى هذه القيادة خزينة لدفع مرتبات » . وذلك لاعتياد الحكومة الإيطالية على توزيع مرتبات نقدية وهدايا وأسلحة وذخيرة وقال إنه رفض من البدأ الدخول في مفاوضات أو إعطاء مواثيق أو وعود ، وصرح في كل مناسبة أن الحكومة تريد أن تعرف من هم أصدقاؤها ومن هم أعداؤها وأخذ يترنم بمقطوعة من شعر فرجيل الشاعر الروماني .

tu regere imperio populos Romano memento
Parcere subjectus et debellare Superbus

وتعريبه « تذكر أيها الشعب الروماني أنك ستدعى إلى حكم الشعوب فاعف عمن يلين لك واخضع الأقوياء لسلطانك » .

وهكذا نرى أن فزان فتحت لنا آفاقاً بعيدة نطل فيها على حوادث متعددة ونشرف فيها على نفسية القواد وغرورهم ورأيهم فينا :

فلنقف قليلا لنحدد أثر الحوادث وتسلسلها التاريخي في فاصل قبل الدخول إلى القاطعة وحروبها الحديثة .

فنحن نعلم أن فزان كانت مستقلة تحت حكام من أمراء بني خطاب من قبائل الهوارة كما حكمها ملوك من السودان ولا تزال بقايا قصورهم وقبورهم قائمة . ونحن نذكر نقلا عن صاحب تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار « حوادث من أمراء فزان » في ولاية سليمان داي التركي وحروب صاحبها المنصور بن الناصر ابن المنتصر ورفضه دفع الأتاوة وعصاه مع الوالي ثم حروبه وعودته وشكوى أهل فزان للسلطان أحمد بن السلطان محمد ابن مراد بن سليم بن سليمان فهذه حوادث تتكرر في كل عصر حتى عصر عبد الحميد . وكان أن أصبحت فزان منفى لرجال الأحرار من الأتراك في عهده والغريب أن يلجأ حكام روما الفاشيون إلى فزان والكفرة لفرض الإقامة الجبرية على فريق من أعداء العهد الفاشي ، فإذا جنود فرنسا حرر بعضهم وكان قد مضى عليهم سنوات وهم مبعدون من أوطانهم .

لنذكر بعد ذلك أن إيطاليا جمعت في أواخر سنة ١٩١٣ حملة قوامها ١٢٠٠ جندي إيطالياً ووطنياً تحت قيادة الكولونيل مياني ووجهتها من طرابلس إلى الجنوب واحتلت المراكز الهامة

حتى وصلت إلى مرزوق ولكن هذا الاحتلال لم يدم طويلا كما ذكرنا ففي نهاية عام ١٩١٤ انسل الطليان منسحبين إلى الشمال تاركين الجنود الوطنيين وحدهم فدخل فزان السنوسيون مع حلفائهم من الطوارق وأقاموا بها حكما لم يدم طويلا لأن الأتراك أعدوا الكرة فزحزحوا السنوسيين عنها وعينوا إحسان ثاقب متصرفاً للاقليم وجعلوا المدعو خليفة زاويه في وظيفة محاسبجي للتصرفية حدث هذا في سنة ١٩١٧ ثم تولى الأخير السلطة في نهاية سنة ١٩١٨ ولما غادر الضباط الأتراك البلاد بعد عقد الهدنة — ثم ساد عهد من الفوضى والتنازع بين الأخير وجماعة سيف النصر وشيخ يدعى عبد النبي انتهى باستيلاء الأخيرين على مرزوق وطرد خليفه من القاطمة فلجأ الأخير إلى الطليان وهو بحالة يرثى لها فأعطاه جرازياني منزلا وخادماً ووعده بأن يستخدمه في فتح فزان .

وضعت خطة الفتح بناء على إرشادات المارشال بادليو وروعيت فيها منتهى الدقة بحيث لم تتجاوز اعتمادات الصرف ٢١ مليون ليره إيطالية أي ما يقرب من ٢٠٠ ألف من الجنيهات المصرية يدخل فيها تكاليف تمهيد الطريق لغاية سبها وإصلاح الطريق من سبها إلى مرزوق ثم منها إلى غات على الحدود الفرنسية .

ثم كل هذا ابتداء من النصف الأول لسنة ١٩٢٩ وتحدد شهر ديسمبر لابتداء العمليات الحربية التي وضعتها القيادة العامة في طرابلس من ناحية تعبئة القوات المكلفة بالفتح وتهيئتها وإمدادها بعربات النقل وكل ما يتعلق بمراكز التموين والتجمع ونظام سوق الجيش وتركت على عاتق جرازياني الناحية الفنية ناحية اختيار الضباط وتدريب القوة المكلفة بالزحف .

فحصر همه في اختيار أعوانه ووضع لذلك شروطاً ألزم نفسه باتباعها فاشترط .

١ — أن يكون الضابط على خلق قيم وجرأة وإرادة .

٢ — أن يكون من المتحمسين للأمور الاستعمارية .

٣ — أن يكون من الذين يتحملون الشاق ويرضون بالتخشن في العيش .

ولما عرف كيف يختار ضباطه فرض هذه الشروط على ضباط الصف ثم أخذ يختبر معلومات ومقدرة رجاله ففرض على القوة القيام بتمرينات متعددة على خاصيات حرب الصحراء واهتم بوسائل الارتباط والمخابرة مع الطائرات حتى يسهل الاتصال بين الوحدات وبعضها وبينها وبين القيادة وطبع كتاباً مختصراً عن فزان وأحوالها ووزعه على الجنود وضباط الصف وأخذ في تحضير خريطة مفصلة على أحدث ما وصل إليه علم السلطات عن طبيعة الأرض والمناطق وأسماء البلاد والمسافات التي تفصلها .

ولم ينس خليفة زاويه الذي انضم مع الطليان على رأس مفرزة من الوطنيين ومعه مهدي موسى للانتقام من أعدائهما في مرزوق وتحركت القوتان في نهاية شهر أغسطس وقاتلت جماعة من المجاهدين تحت قيادة سيف النصر واحتلت واحة براق الواقعة على طريق سبها .

ولما وصل خبر احتلالها إلى طرابلس أصدر بادوليو أمره بالتقدم إلى مرزوق وأن تكون المقدمة مكونة من فوج من السيارات المدرعة ومعه كتيبه من جنود ارتيريا تحملها السيارات وتتبع كل هذا قافلة تحمل ما يكفي لمدة شهر من المؤن والذخائر ولما وصلت الحملة إلى براق وجدت أن سبها قد سقطت في يد خليفة وبهذا أصبح الطريق مفتوحاً إلى مرزوق .

يقف الطليان هنا موقفاً خاصاً يشيرون فيه إلى أخطائهم الماضية فهم يدرسون عمليات سنة ١٩١٣ ويقررون أن أسلافهم لم يفكروا في حماية مواصلاتهم[1] وكان تقدمهم لاحتلال مراكز العدو دون التفكير فيما تتعرض جنودهم إذا تركوا جيوباً للعدو يشن الغارة منها عليهم وكان أن سقطت حاميتهم وهزمت واحدة تلو الأخرى ويكشف جرازياني عن فكره بقوله « إن هذه الأخطاء لن تتكرر مرة أخرى » ولذلك ترك الزعماء الوطنيين يتقاتلون في فزان . حربهم الداخلية الفاتية التي تحضر للرق رؤوسهم وأخذ يستعد لحملة واسعة النطاق وكان ذلك في الشهور بين نهاية أغسطس و ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩ حيث وصل نجاة إلى سبها وأصدر تعليماته التي تتلخص في .

١ — اتمام تطهير الجزء الشمالي بأكمله واحتلال براق وسبها بالقوات النظامية .

٢ — السيرعة واحدة إلى واو الكبير على طريق مرزوق — الكفرة ومنها كانت الحملة التي وجهها الطابد إلى سبها سنة ١٩١٤ .

(١) ظهرت هذه الأخطاء في حملة فلسطين ١٩٤٨

حول مشكلة السكان فى مصر

للأديب محمد محمد علي

إن دراسة السكان على جانب كبير من الأهمية للباحث الاجتماعي ، وذلك لوجود علاقة متبادلة بين تكوين وحجم المجتمع من جهة ، وبين النظم الاجتماعية والظاهر الحضارية من جهة أخرى . وعلى ضوء هذه الدراسة توضع خطط إصلاح المجتمع . والسكان فى العالم موزعون توزيعاً غير صحيح ، لأن هناك عوامل كثيرة تؤثر فى هذا التوزيع ، وأهمها الظاهر الجغرافية والموارد الطبيعية والتحسينات البشرية .

وفى مصر يتجمع السكان (تسعة وتسعون فى المائة منهم) فى جزء صغير لا يتجاوز مساحته خمسة وثلاثين كيلو متراً مربعاً ، فتبلغ كثافة السكان ٧٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع على اعتبار أن عدد السكان قد وصل تسعة عشر مليونا . وتختلف هذه الكثافة فى جهات القطر المختلفة ، وتبلغ أقصاها فى المنوفية : أشد المديريات ازدحاماً ، إذ تزيد الكثافة على ثمانمائة نسمة . ولا عجب فى هذا الازدحام فإن اعتماد الأهالى على الزراعة .

ومن مقارنة التعدادات المتتالية يتبين لنا أن عدد السكان فى مصر قد تضاعف فى نصف القرن الأخير إذ زاد من تسعة ملايين وسبعمائة نسمة فى عام ١٨٩٧ إلى تسعة عشر مليوناً فى عام ١٩٤٧ حيث بلغ متوسط الزيادة ٢٪ فى السنة . وهذه زيادة كبيرة لا تتناسب وزيادة الموارد الطبيعية : وذلك هو أصل الداء ورأس الشكلة . فإن المساحة المزرعة لم تزد فى هذه الفترة إلا حوالى ثمانمائة ألف فدان إذ بلغت فى عام ١٩٤٥ خمسة ملايين وسبعمائة ألف . وليس من شك فى أن هذه الزيادة الكبيرة فى السكان تؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ، لكنها زيادة فى طبقات معينة ألا وهى الطبقات الدنيا ، لأنها لا تزال تعتقد أن فى زيادة السكان خيراً وبركة ، اعتماداً على قول الرسول الكريم (ص) « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ثم لطبيعة الفلاحين فى حب النسل الكثير . ومن جهة أخرى نجد أن الطبقات المثقفة والعليا تستخدم وسائل ضبط النسل بنجاح كبير لدوافع اقتصادية وصحية وثقافية . إذن فالطبقات الدنيا هى التى يتخفض مستواها من هذه الزيادة ، وهم سكان الريف المهمل فى شتى الخدمات الاجتماعية .

وتعتبر الملكية العقارية عماد النظام الاقتصادى الزراعى فى مصر . فقد بلغ عدد الملاك فى عام ١٩٤٥ : ٢ و٦٠٠ و٠٠٠ ...

---

٣ — الهدف الأخير احتلال مرزوق — أوبارى — فات الحدود الصحراء الفرنسية .

إن القصد النهائى هو أن تتطور المركة على شكل ديناميكى وينتهى الوصول إلى احتلال نهاية الحدود السياسية وإخضاع أبعد الناطق مما لا يتصور العرب أن فى وسع الحكومة الإيطالية الوصول إليها [1].

وقد نفذت هذه الخطة التى كان الكتمان رائدها بحذافيرها تامة فاستولت إيطاليا على واو الكبير ومرزوق وفى ٣٥ فبراير سقطت بات التى غادرها الثوار منسحبين إلى داخل الأراضى الفرنسية وفى ٣٠ مارس تركت مفرزة من قوات البادية مراكزها فى فزان متجهة جنوبا فاحتلت جبال طمو فى ٢ إبريل أى على بعد ٥٠ ١٥ كيلو مترا من الساحل وأتمت حركتها بأن عادت إلى مراكزها من طريق بئر الوعر وبقيت إيطاليا تسيطر على فزان حتى قامت الحرب الأخيرة . أليس فى ذكر هذا ما يحرك فى النفس أشياء؟ نعم لقد انتهى عهد إيطاليا وانتهى جراتزيانى وسلمت جيوشه فى صحراء مصر ولكن الدروس التى ألقاها علينا فى زحفه إلى فزان تستحق العناية أو تنبهنا إلى بعض الأخطاء التى وقع فيها أسلافنا أو وقعنا نحن فيها ألم يكن من الأوفق لنا أن نعرف أساليب الخصم الماتى وأن الاستمرار مجموعة تحارب والحروب سلسلة من الدروس القاسية والفرص تأتى ولا تعود .

والآن انتقل إلى الحلقة الأخيرة لفزان وهو احتلال فرنسا لهذا الإقليم :

(النهاية فى العدد القادم)

أحمد رمزى

(١) قارن هذا بمسليات اليهود فى النقب وخليج العقبة ١٩٤٩. ٣٣ ، ٣٢

أى ١٥٪ من السكان . فإذا فرضنا أن كل مالك يعتبر رباً لأسرة قوامها خمسة أفراد ، فإن عدد من يعتمد على الزراعة من سكان القطر كمورد رزق يبلغ نحو خمسة وسبعين فى المائة من جملة السكان . ومن هؤلاء الملاك سبعون فى المائة يقل ما يملكه الواحد منهم عن فدان ! ولا جدال فى أن الفقر يؤدى إلى سوء الصحة ، بالإضافة إلى الجهل الضارب أطنابه نرى أن ثمانين فى المائة من سكان مصر الحديثة يعيشون عيشة ضنكا ! وهذا أمر عجيب فى بلد ذى مناخ معتدل وموقع ممتاز ، وهو بعد مهد أقدم حضارة أضاءت بنورها ظلمات العالم . وهنا نتساءل : هل يؤدى ازدياد السكان إلى انخفاض مستوى المعيشة ؟ ولكل سؤال جواب كما يقول جميل لصاحبته . فما ينبغى أن نتشاءم كما تشاءم مالثس Malthus (١٧٦٦ — ١٨٣٤) فى انجلترا ، فقد حذر مواطنيه من كثرة التناسل وحثهم على تأخير الزواج مع حياة العفة . وحينما تغيرت الأحوال ونهضت الصناعة فى القرن التاسع عشر ، زاد عدد السكان زيادة فائقة استجابة لزيادة الموارد ، ولم يصحب ذلك انخفاض فى مستوى المعيشة .

قد يقال إن أمام المصريين أرض الله واسعة فليهاجروا إليها ، ولكنها المصرى قد تعود التعلق بأرضه منذ القدم ، ثم إن الهجرة ليست بالأمر الهين السهل ، لأسباب مختلفة وظروف متباينة . وقد يقال إن ضبط النسل هو الحل الصحيح ، ولكنه غير ممكن من الناحية العملية إذ أن وسائل ضبط النسل قلما تلاقى نجاحاً عند الطبقات الدنيا كما أشرنا من قبل ، مع أن المجتمع لا يرغب فى زيادتهم الكبيرة ، وذلك بعكس الحال عند الطبقات المثقفة والعليا التى توسعت فى استخدام ضبط النسل مع أن كثرة نسلهم ليس منها ضرر ، إذ أن فى إمكان هذه الطبقات أن تربى الأطفال مهما كثروا تربية حسنة . إذن فعلاج الحال نجده فى الموارد الطبيعية .

فى الناحية الزراعية يمكن زيادة الأراضى المزروعة وذلك بإصلاح الأراضى البور وبواسطة مشروعات الرى مثل مشروع وادى الريان وغيره والاهتمام بطرق الزراعة والعناية بأنواع النباتات وتحسينها ، مع ملاحظة قانون الغلة المتناقصة وهو أن للأرض حداً فى الإنتاج لا تتعداه مهما أجرى من وسائل التحسين والإصلاح ، وكل زيادة فى الإنتاج يحصل عليها بأكثر من زيادة متناسبة فى الأيدى العاملة .

وترى سعادة حافظ عفيفى باشا أن هناك أربع وسائل لرفع مستوى المعيشة فى مصر[1] :

١ — قيام الشركات الصناعية .

٢ — رفع الرسوم الجمركية على الموارد الأولية والآلات .

٣ — العناية بأجور العمال وتحسينها .

٤ — تشجيع التصدير إلى الخارج .

وهناك غير ذلك من وسائل رفع المستوى الاقتصادى للشعب مثل الضرائب التصاعدية وتأميم المشروعات والتصنيع الريفى والتوجيه المهنى للنشء ... ومن وسائل رفع المستوى الصحى مثل العناية بمياه الشرب والمساكن الصحية وإنشاء المستشفيات والتأمين الصحى للسكان وتشجيع الجمعيات الخيرية . والاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة الشعبية ومحو الأمية لرفع المستوى الثقافى . هذا مع العلم بأن هناك ارتباطاً بين النواحى الاقتصادية والصحية والثقافية ؛ فلا صحة للقول الشائع بأن نبدأ فى القضاء على الأعداء الثلاثة الفقر والمرض والجهل واحداً فواحداً ، مع أن المشكلة واحدة وينبغى علاجها من كافة الوجوه .

ولا بد لنا من أن نسجل بالفخر فى هذا المقام ما قامت به حكومة الفاروق أعزه الله من جهود فى سبيل رفع مستوى الشعب بمختلف الوسائل .

والخلاصة أن ازدياد السكان لا يؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ما دامت هناك إمكانيات لزيادة موارد الغذاء ، إلا أن هناك ضرورات تستوجب استخدام وسائل ضبط النسل مثل عدم ملاءمة الحالة الصحية أو اشتغال المرأة بالأعمال المختلفة وغير ذلك . وينبغى أن نتذكر دائماً فرنسا التى ما زالت تعانى خطر قلة عدد سكانها ، إذ استخدم ضبط النسل فى أول الأمر كعلاج للمشكلة عندهم ، ثم بمضى الزمن أصبح ضبط النسل من تقاليد السكان الذين لم يستطيعوا التخلص منه رغم إغراءات الحكومة المختلفة لزيادة النسل . مع أن المقصود بضبط النسل فيما نرى هو مراعاة مقتضى الحال فى الزيادة والنقصان .

محمد محمد على
قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

(١) جريدة المصرى ١٥/٢/١٩٤٩

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

توفيق الحكيم فى ميزان الفن والنقد :

الرأى الذى كونته لنفسى عن فن توفيق الحكيم قبل أن أعرفه ، هو الرأى نفسه الذى انتهيت إليه بعد أن عرفته . كل ما حدث هو أن معرفتى به قد زادتنى اقتناعاً بهذا الرأى وإيماناً به . أما هذا الإيمان فقد قام على دراسة بعيدة المدى لفنه أولا ولشخصه ثانياً ، وأستطيع أن أقرر وأنا مطمئن أن كل ما أكتبه هنا — فى رأيى على الأقل — يتسم بسمة المعرفة ، والصدق ، والثقة التى تستمد عناصرها ومقوماتها من الواقع الملموس .

أول مزية من مزايا هذه الشخصية الفنية أنها من الشخصيات النادرة التى تتمتع بحظ كبير من القلق النفسى ، وهو أول أداة من أدوات كاتب القصة . . . ومن طبيعة الشخصية القلقة أنها تثير دائماً ألواناً من « الصراع الفكرى » فى ثنايا القصة والمسرحية ، وكلتاهما تعتمد أول ما تعتمد على هذه الدعامة الفنية الفذة ، وأعنى بها « الصراع » ! القلق الدفين والشك الملح صفتان تجريان مجرى الدم فى طبيعة توفيق الحكيم النفسية ؛ ومن هنا نجد شخصيته القلقة منعكسة بوضوح فى أكثر ما يكتب ، ويستطيع الذين لم يتصلوا بهذا الكاتب ، ولم يتهيأ لهم أن يعرفوه معرفة خبرة ودراسة ويقين ، أن يلتمسوه هناك فى كثير من شخصيات قصصه ومسرحياته ... إنها شخصيات حائرة ، قلقة ، مترددة ، يندر أن ينتهى بها المطاف إلى استقرار . وهكذا نجد توفيق الحكيم فى واقع الحياة ؛ يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس : فى تأملاته ، فى تهويماته ، فى سبحاته الروحية ؛ وهو لهذا كله يثير فى فنه أشتاتاً من المشكلات الفكرية العميقة التى تحفل بالصراع ، ولكن أى صراع ؟ إن توفيق الحكيم يذهب فى مقدمة « أوديب الملك » إلى أنه يقيم الصراع دائماً على دعامتين : الواقع والحقيقة ، أى أنه يترك أبطال قصصه ومسرحياته فى خضم من « الصراع الفكرى » الذى تتجاذبهم فيه أمواج الواقع من هنا وأمواج الحقيقة من هناك . . هذا حق ولكنه ليس كل الحق ؛ إن فى بعض مسرحياته صراعاً بين الواقع والخيال ، وقد يبدو الخيال لبعض الواهمين ضرباً من الحقيقة ، كما حدث لبعض شخصيات توفيق الحكيم فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » !

وسواء أكان الصراع فى « أهل الكهف » و « أوديب الملك » صراعاً بين الواقع والحقيقة ، أم كان صراعاً بين الواقع والخيال كما حدث فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » ، سواء أكان هذا أم ذاك فإنك تخرج من هذا « الصراع الفكرى » بظاهرة فنية ملموسة ، وهى أن شخصيات توفيق الحكيم القصصية تفر من الواقع هنا وهناك . . . وسمة أخرى نجد هذا الفنان متمكناً بلحمه ودمه على صفحة فنه ، لماذا ؟ لأن هذه هى طبيعته النفسية والفكرية ؛ لقد قدر له أن يلقى الحياة بهذه الطبيعة العجيبة ، يلقاها ليفرمنها ، جرياً وراء الحقيقة أو جرياً وراء الخيال !

« الصراع الفكرى » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ، أما « الصراع النفسى » فلن تجد منه إلا ومضات لا تلبث أن تشع حتى تختفى ... فى هذا التيه من التأملات الفكرية والتهويمات الذهنية ، وتستطيع أن تلمس هذا بوضوح فى « أوديب الملك » ؛ لقد حاول توفيق الحكيم جاهداً أن يتخلص من هذه الظاهرة التى تفرض نفسها على فنه ليعتمد بتمثيلية سوفوكل من حيز « المسرح الذهنى » ولكنه لم يستطع ... من هنا تنبع شكواى من فن توفيق الحكيم ؛ شكواى من انعدام « الصراع النفسى » ! إن أول مزية من مزايا هذا الصراع هى أنه حين يرسم لك الخطوط الرئيسية فى مشهد من المشاهد أو فى شخصية من الشخصيات ، يجعلك تعيش بفكرك وشعورك فى محيط هذا الجو الذى تمتزج به ويمتزج بك ، فإذا أنت متجهم فى جو المشهد القاتم والشخصية العابسة ، وإذا أنت منطلق الأسارير فى جو المشهد الوضىء والشخصية الباسمة ... لهذا كله لم يهتز فى « أوديب » فى محنته ؛ أوديب الذى تحالفت عليه القادير فقتل أباه وتزوج من أمه . وكذلك لم تهتز « جوكاستا » الشقية البائسة ؛ جوكاستا التى تنجاب عن عينيها الغشاوة يوماً فترى أن الزوج هو الابن ، وأن الأطفال الأحياء قد خرجوا إلى الحياة ، كما خرج أبوهم من قبل ... خرجوا جميعاً من بطن واحد !

هذا النقص فى « الصراع النفسى » تحل محله موهبة أخرى فى « الصراع الفكرى » ، ولولا هذه الموهبة الفذة لما ملىء هذا الفراغ فى فن توفيق الحكيم ... إن طبيعته القلقة قد انعكست

على شخصيته الفنية فأكسبتها فيضاً من المزايا التي لا تجتمع كثيراً لغير هذا الفنان : منها هذه الحرارة المتدفقة التي يضفيها على فنه إشعاع ساطع من عنف الصراع ونفاذ التأملات ، وتلك الحركة الحياشة التي تشيع في ثنايا المواقف النابضة بالحيوية والانطلاق

ومع ذلك فأنا أرجح من الذين قرأوا « أوديب الملك » وغيرها من المسرحيات التي يطبعها طابع « الصراع الفكري » أن يرجعوا إلى « سليمان الحكيم » ... إنهم سيلمسون ظاهرة فريدة لا عهد لهم بها في فن توفيق الحكيم . ظاهرة وقفت عندها وأطلت الوقوف ، ودرستها في كثير من التأمل وإنعام الفكر ... « صراع نفسي » وهذا هو العجب ، « وقلب إنساني » وهذا هو الأعجب! ترى أكان توفيق يوم كتب « سليمان الحكيم » يعيش في نفس التجربة التي صورها بريشته لقلب « بلقيس » حين خاض هذا المعترك الرهيب بين حب « منذر » وحب « سليمان » ؟ أكاد أقطع بصحة هذا الظن ، وإلا لما استطاع توفيق الحكيم أن يهزني كل تلك الهزات الشعورية العميقة في هذا العمل الناضج من أعماله الفنية ؛ أقول « هزات شعورية » لأن العهد بتوفيق الحكيم أنه في أغلب آثاره لا يهز قارئه إلا « هزات فكرية » ! ...

« سليمان الحكيم » في إنتاجه كله تقف وحدها متفردة بأكمال « الصراع النفسي » وقوة النبضات في القلب الإنساني ، وحكم التفرد أمر لا يقاس عليه إذا ما أقنا الميزان للشخصية الفنية على مدار إنتاجها كله ؛ ومعنى هذا أنني أعود فأكرر بأن « الصراع الفكري » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ... الحمسة في فنه تنبع من الشفتين لا من القلب ، والقسمة في فنه تأتي من الذهن لا من النفس ، والانفعال في فنه يصدر من إطالة التأمل لا من جيشان العاطفة . وهذا هو توفيق الحكيم في واقع الفن وواقع الحياة !

تعال بعد ذلك أحدثك عن موهبة أخرى في فن توفيق الحكيم هي موهبة الحوار — قد تقول لي إن توفيق الحكيم ينطق شخوص قصصه ومسرحياته في بعض الأحيان بما يبعد عن أن تنطقهم به الحياة . إنني أوافقك على ما تقول ، ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنه يدير دفة الحوار بمهارة فائقة تنسيك هذا الجانب الذي يلوح منه شبح الاعتراض . ولا تستطيع أن تنكر أيضاً أنه قماص قادر على الانفعال في تلك المواقف التي تتطلب دفقات هائلة من السرعة والحركة وحرارة التعبير ، وتلك مزية تنقص الكثيرين من كتاب القصة !

أما الموهبة الأخيرة التي تهزني في فن توفيق الحكيم فهي أن القصة بين يديه تمتاز بـ « التصميم الفني » ... إنه يعرف كيف تبدأ القصة ، وكيف تسير . وكيف تنتهي ، دون أن يكون هناك شذوذ أو اضطراب في هذه المراحل الثلاث ؟

هذا هو كل ما يمكنني أن أقدمه إلى الأستاذ محمد عادل الرمضاوي في حدود المجال الذي طلب إلي أن أكتب فيه ، وإنني لأرجو أن أكون قد وضعت بين يديه مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المنغلقة ... على حد تعبيره حين كتب إلي مشيراً إلى شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الأدبية والإنسانية!

كرافتشنكو ينتصر على مجلة « ليتر » الفرنسية :

أخيراً وبعد نضال مرير عاصف عنيف شهدت أدواره جوانب قاعة المحكمة بمبنى العدل في العاصمة الفرنسية ، أصدر القضاء حكمه في صالح الكاتب الروسي الثائر على نظام الحكم في بلاده ... فيكتور كرافتشنكو ! وبهذا الحكم الفاصل بين صاحب « آثرت الحرية » وبين القائمين على أمر مجلة « ليتر فرانسيز » ، تنهار أمثلة الاتهام التي وجهها خصوم الكاتب الروسي إلى حقيقة كتابه وما حوى من وقائع ومعلومات ! .

إنها لطمة قاسية من غير شك ، تلك التي وجهها القضاء الفرنسي منذ أيام إلى الشيوعية الروسية الفرنسية — وأية لطمة أقسى من أن يصدر حكم القضاء مؤكداً نسبة الكتاب إلى صاحبه ، ومؤيداً لكل ما تضمنه من بيانات أوردها كرافتشنكو ليدلل بها على فساد نظم الحكم في بلاده ، تلك النظم التي تحد من حرية الرأي والفكر ، وتلغي الكرامة الفردية والعقلية وكل ما يقتضيه الأحرار من مثل في المجتمع الكريم !!

إن كرافتشنكو يخرج اليوم مرفوع الرأس ، بعد أن حكم له القضاء بتعويض قدره خمسون ألف فرنك عن الجزء الأول من الدعوى التي رفعها على المجلة الشيوعية الفرنسية ، وبعد أن حكم له بتعويض آخر مماثل للتعويض الأول في مقابل الجزء الثالث من الاتهام ... أما مسيو كاوه مورجان مدير المجلة ومسيو أندريه ورمستر رئيس تحريرها فقد قضت المحكمة بتغريم كل منهما مبلغ خمسة آلاف فرنك ؛ ومع إلزامها بنشر هذا الحكم في أول صفحة من صفحات « ليتر فرانسيز » ... بمجلتهما الأسبوعية !!

هذا هو ما وافتنا به شركات الأنباء عن آخر مرحلة من

مراحل هذه القضية المثيرة ، ولكن هيئة الدفاع عن مجرى المجلة الفرنسية تمد المدة لاستئناف هذا الحكم فى الأيام المقبلة ... ومعنى هذا أن هناك فصلا أخيراً يهم النظارة أن يشهدوه ! .

« كافر » للشاعر السورى زهير ميرزا :

هذه مجموعة شعرية تستحق تحية القلب وتحية القلم .. قال صاحبها وهو يتفضل مشكوراً بإهدائها إلىّ : « أقدم إليك هذا الشعر ، صدى لكلمتك (تحية قلبية وأخرى قلمية) ، التى لولاها ولولا الرسالة ما تم مثل هذا اللقاء الفكرى الذى أرجو أن يكون فاتحة صداقة مقدسة ، رائدها الكفر بالمفاهيم للإيمان بها » ! ... إهداء فيه تحليق وشعر فيه تحليق ، وأنا أحب أن أعيش فى أجواء المحلقين من أمثال زهير ميرزا ، سواء كانوا كتاباً أم شعراء .

أجل ما فى هذه المجموعة الشعرية أن زهير ميرزا يسكب شعره فى قالب من الحوار الفنى الذى يدور حول فكرة ، تنبع من أعماق الشعور لتحلق على أجنحة الخيال ... ولا أقول إن الفكرة جديدة ، ولكن الجديد فيها هو تلك اللقطات البارعة التى تجيد اختيار الزاوية فى مجال الإخراج الفنى للصورة النفسية ، تلك التى يتسع لها إطار التعبير ولا يزيد !

صورة من النفس يلفها وشاح من ومضة الفكر ، وإذا أنت فى « الحقيقة الكبرى » مأخوذ بصراع العقل والعاطفة بين « قر » و « شهر زاد » ... هناك حيث تنفر الروح من هذا « الشىء » المادى الذى تبلى جدته فى عالم الواقع وتحيا فى عالم الوهم الطليق ! وهكذا يمضى زهير ميرزا فى « لقاء » « وغانية وفكر » و « كافر » و « مصرع المثال » ... أما « لقاء » فتصور هذا النضال النفسى الذى يثيره « نداء الأعماق » فى طريق قد خلت من كل شىء إلا من فتى وفتاة ؛ أمواج من دماء الوجدان تعترض سير الشراع الحالم ولا تزال به حتى يثب تحت أطباق الضباب ! وفى « غانية وفكر » يقبل جسد وتعرض روح ... وتحتدم المعركة بين القلب المشبث من وقدة نار تتأجج ، وبين الفراشة التى تحوم حول النور تبغى الضياء ولا تريد أن تحترق ؛ إن ريشة زهير قد بلغت الغاية فى تلوين هذه اللوحة التى تمثل ثورة الصراع بين بائسة الجسد وبين راهب الفكر ! .. أما « كافر » فتنقلك إلى ذلك الجو الفكرى السابح فى أعماق الوجود وحقيقة الحياة ؛ هل تذكر قصيدة « الطلاسم » لإيليا أبى ماضى ؟ إن جناحى زهير ميرزا يضربان فى هذا الأفق ضربات عميقة تهز الخيال المحلق فيما وراء المجهول !

إننى لا أريد أن أقدم للقراء بعض النماذج من هذه المجموعة الشعرية حتى لا يفتنهم القليل عن الكثير ، إننى أود أن يرجعوا إلى المجموعة كلها ليقضوا مع الشاعر لحظات جميلة ومتعة كتلك التى قضيتها معه ... أما أنت يا صديق زهير فيسعدنى أن نكون صديقين ، يلتقيان على الكفر بالمفاهيم للإيمان بها ، وليس أحب إلىّ من هدم يقوم على أنقاضه بناء !!

جوهر النفوس عندنا وعندهم :

نشرت « المصور » فى الأسبوع الماضى صورة لصبى أمريكى يجلس بين أكوام من الأوراق المالية ، ثم أشارت إليه بهذه الكلمات : « إنه (بوبا) الفتى القصد الذى ضاق ذرعاً ذات مساء بوحدته وبالحياة ، فقصد إلى دار الإذاعة فى ولاية تكساس بأمريكا ، حيث ناشد المستمعين أن يمدوه بمبلغ (الدراهم) التى تعينه على الحياة ... وما كادت تنقضى بضعة أيام حتى دعى إلى مقر البريد حيث سلمه مديرها الرسائل التى وردت إليه من أنحاء الولاية استجابة لدعوته . وقد وجد الفتى نفسه غارقاً فى أكوام من الرسائل تحمل فى داخلها ثروة تقدر بعشرين ألف دولار ، هبطت إليه من السماء » !

هل تستطيع أن تقف معى لحظات لنزن هذا الخبر الذى يحمل إلينا قليلا من الألفاظ وكثيراً من المعانى ؟! ترى لو كان هذا الصبى القصد فى مصر ، وذهب إلى دار الإذاعة ليذيع نداء الحاجة على ذوى القلوب الرحيمة ، ترى ماذا كان يحدث ؟ الشىء الذى أتصوره ولا يمكن أن أتصور شيئاً سواه ، هو أن يهاجم ذوو القلوب الرحيمة دار الإذاعة هجوماً لا « رحمة » فيه ، لأنها سخرت الجهد وأضاعت الوقت فى خدمة المتعدين والمتسولين ! .. والشىء الذى أتوقعه ولا يمكن أن أتوقع شيئاً سواه ، هو أن تضج الصحف بالشكوى من تفاهة هذا « البرنامج » الذى تتفتق عنه أذهان الشرفين على الإذاعة ، أولئك الذين لا هم لهم إلا إزعاج المستمعين !

آلا ما أبعد الفارق بيننا وبينهم ... هناك قلوب من ذهب وهنا قلوب من قصدير !!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

العربية ترفض على يد وزير المعارف :

كتب معالي الأستاذ علي أيوب بك وزير المعارف ، صفحة جديدة في تاريخ الكرامة المصرية ، إذ أعز اللغة القومية ورفع لواءها على مكاتب السفراء ورجال السلك السياسي الأجنبي في الأسبوع الماضي ، حينما أمر بكتابة الدعوات التي أرسلت إليهم لحضور حفل المرشدات باللغة العربية ، على خلاف ما جرت عليه الوزارة من كتابتها باللغة الإنجليزية أو الفرنسية .

وهي دفعة من الدفعات التاريخية التي قام بها رجال من رجالنا في العصر الحديث لنصرة اللغة العربية والتمسك بها ورفع شأنها باعتبارها لغتنا وأن لا شخصية لنا إلا بسيادتها .

ولا شك أن من حقنا أن نكتب بلغتنا لمن نشاء ، ولكن كنا نتسامح ونفرط في هذا الحق ، ولم يحدث أن تمسكنا به واستطاع أحد أن يصدنا عنه ، بل على العكس كنا نتطوع بتمكين الأجانب من إهمال لغتنا لأننا نهملها معهم . وهذا هو السفير البريطاني يرد على دعوة معالي وزير المعارف باللغة العربية أيضاً ، آسفاً لعدم إمكانه تلبية الدعوة لتغيبه بالاسكندرية يوم الحفل . فأين كنا من زمان ؟!

إن اللغة تقوى بقوة أصحابها وتضعف بضعفهم ، وليس هناك لغة حية ولغة ميتة ، فالأحياء والأموات هم الناس .

مدرسة جديدة في فن القصة :

لا تقر فضل الخير على الشر ، ولا تعترف بفارق بين الفضيلة والرذيلة ، ولا تميز الحق من الباطل ؛ أية نزعة من نزعات الإنسان عندها كأية نزعة أخرى ، لا تقول للص يا لص ، ولا تقول للبطل يا بطل ، لأنه لا جريمة ولا بطولة ، فلكل عمل دوافعه ومقدماته ، وكل ما يأتيه الإنسان أمر طبيعي لا ينبغي الحكم عليه ولا يجوز أن يستنكر .

هي مدرسة حديثة في فن القصة ، ظهرت في مصر ، وأعلنت مولدها يوم الأحد الماضي في نادي رابطة الأدباء ، على لسان الطالب الأديب صلاح حافظ الذي ألقى محاضرة دعا فيها دعوة هذه المدرسة وأعلن ميلادها في زهو ، وتطامن فبشر بزعيمها الجالس بجوار المنصة يبعد عن سماء خجل التواضع .

والزعيم أو الكاتب القصصي الأول في هذه المدرسة الحديثة ، هو الأديب محمد يسري أحمد ، وأعلام المدرسة وأنصارها والمتحمسون لها ، يجتمعون في واحد هو محاضرنا الأديب صلاح حافظ ، وهما طالبان بالسنة الثالثة بكلية الطب ، إنهما يشرحان الإنسان الحي كما يشرح الإنسان الميت في قصر العيني . هل يأبه الطبيب للقذارات أو يأنف من روائح الجثث ؟ كذلك كاتب القصة يحلل الإنسان كما هو ويتغلغل في أعماقه ليصورها كما هي ، فإن قلت إن غاية الطبيب الشرح الوصول إلى الحقائق العلمية قالت لك المدرسة الحديثة في فن القصة إنها لا غاية لها ، فالكاتب يجب أن يبدأ القصة ويسير فيها مع الطبيعة لا يهدف إلى شيء ، فإن قلت إن الطبيعة لا تتسق طريقها فهذا هو الفارق بين الطبيعة وبين المدرسة الحديثة .

يظهر أني تأثرت بمذهب هذه المدرسة في عرض الأشياء كما هي وإبراز الإنسان كما هو ، فإني أتحدث عنها كما هي ، وإتماماً للخطة أضربت في هذا الموضوع عن استعمال علامات التعجب لأنها تدل على الانفعال وقد تشير إلى الحكم . وأستمر في السير على هذه الخطة فأقول :

حدثنا المحاضر صلاح فقال إن المدرسة الحديثة قد اكتسحت كل ما عداها وأحرزت نصراً مؤزراً في مسابقات القصة المختلفة ، ففاز يسري بقصة في مهرجان الشباب ، وبأخرى في مسابقة الإذاعة ، وبثالثة في مسابقة الثقافة العامة ، وفاز هو ، أي صلاح ، بقصة في المسابقة الأخيرة .

وليس هذا هو كل إنتاج المدرسة الحديثة ، فقد كان ليسري في مهرجان الشباب قصة غير التي فازت ، تحدث فيها عن حادثة غرام بين فنان وأخته وحلل العوامل التي جعلت بطل القصة يفتن بمحاسن أخته ويستمتع بجسدها ثم يقتلها . ولم يعجب ذلك الاتجاه النفساني في فن القصة شيوخ الأدب

المحكمين في المسابقة ، فرفضوها وقال إن الأستاذ عبد الله حبيب قرأ هذه القصة ، إذ كان يعمل في تنظيم المهرجان ، حتى وصل إلى نهايتها وهو لا يشعر أن فيها جريمة ترتكب ، وإنه دافع عنها أمام لجنة التحكيم (وقد سمعت أنا أيضاً ذلك من الأستاذ عبد الله) .

وأنا ما زلت أتحدث على طريقة المدرسة التجريدية ، ولكني وصلت إلى نقطة أراني فيها مضطراً إلى الخروج مع المدرسة نفسها عن طريقتها . شيوخ الأدب جامدون لا يقدرون الاتجاه النفسي الجديد لأنه يخالف اتجاههم ، فالشيوخ يتحدثون عن جمال الربيع ولا يهتمون بالإنسان ، فإذا عرجوا عليه لزموا السطوح ولم ينزلوا إلى الأعماق ، كما يقضي بذلك علم النفس ، وكما تفعل ذلك المدرسة الحديثة . وقرأ المحاضر هنا المعنى رسالة كتبها يسري إلى الأستاذ فريد أبو حديد بك ، ومن فقراتها « لا يا سيدي . نحن جيل وأنتم جيل » .

ثم أرجع إلى الطريقة التجريدية فأقول : هكذا يقضي الشيوخ بفوز قصص المدرسة الحديثة في المباريات ، وتمتاز المدرسة بذلك ، ثم تهاجم الشيوخ الذين حكموا بفوز قصصها . أقول هكذا فقط ولا أذكر الوفاء ولا الاعتراف بالجميل فليس شيء من هذا في معجم المدرسة الحديثة في فن القصة . أما لماذا قضت لجان التحكيم في المباريات بفوز تلك القصص ، فقد قال أحد أعضائها وهو الدكتور إبراهيم ناجي ، في تعقيبه على المحاضرة : إن القصص التي فازت ، إنما فازت لأن بقية القصص المقدمة تافهة ليس فيها شيء من فن القصة بل هي حكايات و (حواديت)

وجرياً على مذهب تلك المدرسة في العطف على الضعف الإنساني وإن جانب القوي السليم واندفع مع الحيوانية الباغية — لا أريد أن يتجه القلم إلى القسوة على بطلها ، غير أننا نختلف في أن نرفق بها غاية .

إنكما يا ابنيّ تتسجلان . وأني وإن كنت لم أقرأ لكما يبدو لي من اللامعات والقرائن أنكما من ذوي الاستعداد ويمكن أن يجيء منكما ، ومثل ما يقول الأستاذ عبد الله حبيب عن قصة عاشق أخته على براعة يسري في السياق والحبكة ، ولكن ما أشبه حال الأستاذ وهو يقرأ

كشكول الأسبوع

□ حدد المجمع اللغوي في اجتماعه الأخير جلسة اليوم الثاني من شهر مايو القادم لإجراء انتخاب بين المرشحين لشغل الكرسيين الخاليين به .

□ بناء على رغبة ملكية سامية ، تعمل وزارة المعارف الآن على تغيير اللوحات المعلقة بواجهة التحف المصرى والمكتوبة باللغة الإنجليزية متضمنة نبذاً عن الآثار المختلفة ، بحيث يوضع بدلها لوحات مكتوبة باللغة العربية .

□ يبدأ عرض مسرحية « العصا » يوم ١٦ إبريل الحالي على مسرح الأوبرا الملكية . وقد أعلن عنها في الصحف بطريقة « توزيعية » بين المؤلف توفيق الحكيم والمخرج زكي طليمات والممثل الأول يوسف وهبي . ولعل هذه أول مرة يرضى فيها يوسف وهبي بالقسمة العادلة .

□ قدم فريق التمثيل بالأزهر رواية « خالد بن الوليد » على مسرح الأزبكية في الأسبوع الماضي . ولم تتح لنا الفرصة لمشاهدة بأكورة الإنتاج الأزهري . وهنا تطور مدهش ... فلو نشرعنا الخير منذ عشرين سنة على سبيل التنزل لكان موضع الاستغراب والتي ترجوه أن يكون من وراء هذا الاتجاه إنشاء فن مسرحي إسلامي له خصائص تميزه ويتفق مع الرسالة الدينية .

□ أصدرت لجنة النشر للجامعيين « الصلة الاجتماعية في الإسلام » للأستاذ سيد قطب ، وهو كتاب يعرض مواقف الإسلام من الحياة الإنسانية عامة والعدالة الاجتماعية خاصة . وقد بين المؤلف ذلك أحسن تبيين فدل على ما توافر له من فهم روح الإسلام وروح العصر والقدرة الأدبية على التعبير .

□ وقع اختيار لجنة تشجيع التأليف والترجمة بوزارة المعارف ، على طائفة من الكتب الألمانية والإنجليزية والفرنسية المؤلفة في العلوم والفنون والآداب لنقلها إلى اللغة العربية ، وعهد بترجمتها إلى طائفة من رجال الجامعيين والمعاهد العليا والأدباء .

□ لاحظت إدارة التسجيل التابعة لوزارة المعارف أن برنامج الإذاعة الذي ينشر غير مستوف — فيما يتعلق بالأحاديث واليانات المطلوبة لتضمينها السجل الخاص ، وأن البرنامج نفسه كثيراً ما يتغير عند الإذاعة ، فكتبت عدة مرات للإدارة الإذاعة لتوافيها باليانات المطلوبة دون أن تتكرم بالرد ... وأخيراً تبين أن لإدارة الإذاعة أذناً من طين وأخرى من عجين ...

□ كشف عالم أثري مصري مقابر بمنطقة سقارة ، ووجد في إحداها تمثال لكاتب مصري قديم اسمه « نفركا » ومعناه لطيف الظل .

□ ينعقد المؤتمر الثاني العربي الثاني بالإسكندرية في أغسطس القادم .

□ تعمل وزارة المعارف على إقامة معرض فني بالخرطوم تعرض فيه مجموعة من أعمال الفنانين المصريين المعاصرين .

القصة غير شاعر بأن فيها جريمة ترتكب ، بمن (نشلت) حافظة نقوده وهو لا يدري .

إن مناقضتكما للأخلاق الكريمة بهذه الدعوة مناقضة ظاهرة ، وأنتما لا تفكران ذلك ، وإنما تتمسكان بأهداب الفن وأنا لا أدري كيف يتسق الفن مع مخالفة الذوق السليم وإغفال المثل الإنسانية والانسياق مع الحيوانية البحتة . وما هو الفن الذي يتجرد من العاطفة ؟ إن تحليل الأشخاص وإظهارهم دون انفعال وحكم ، عن طريق التصوير الفني ، على ما يأتون وما يدعون لا ينتج إلا شيئاً قد يسمى « علم نفس تطبيقياً » أما الفن فلا بد فيه من عاطفة الفنان ، فإن تجرد منها فليس فناً . والعاطفة في العمل الفني إما أن تهدف إلى الخير وتتجه نحو الجمال الذي يهدو إليه الذوق الفني السليم ، أو تنزل إلى الشر وتتدلى إلى القبح .

أريد أن أعرض في شأن هذين الشابين أحسن الفروض ، وهو أنهما يتكلفان الشذوذ على طريقة « خالف تعرف » ولا بأس بأن حققت لهما شيئاً من ذلك ، وغاية ما أرجو أن يكون الثمن هدايتهما إلى سواء الأدب القويم .

رسالة من غراب :

تلقيت رسالة كريمة رقيقة من الأستاذ أمين يوسف غراب ، على أثر ما ظهر في « الكشكول الأسبوع » خاصاً بخطأ لغوي في قصة له بمجلة الأديب ، قال الأستاذ في رسالته « أما الخطأ الذي تفضلتم بالإشارة إليه فأنا أعترف به ، ولا أريد أن أحمل الطبعة وزره ، أو أحيله على غيري كالذي نقل عني هذه القصة مثلاً . ولكني لا أعترف بأنه كان يستحق عنايتكم إلى هذا الحد ، أو يستأهل إشارتكم الكريمة ، إن هناك على ما أعتقد من جديات الأمور ما هو أجدر بعنايتكم وأحق بتوجيهاتكم . كنت أفهم مثلاً أنكم تتحدثون عن القصة في مجموعها كوحدة فنية ... الخ »

وأقول إني لم أعرض لنقد القصة حتى أستوعب نواحيها المختلفة ، ولم يصرفني هذا الخطأ عن جديات الأمور . إنما هي نظرة من زاوية ، صيغت في سطور من « الكشكول » وليس من دأبي تتبع الأخطاء اللغوية ، ولا آتي بشيء من ذلك إلا للابسات أخرى غير مجرد الخطأ ، والذي لا بس إشارتي إلى قصة الأستاذ غراب هو ما لاحظه من استهانة بعض الكتاب ذوي المواهب الفنية بسلامة الأسلوب وصحة اللغة .

وقد لمحت فيما قرأت للأستاذ سمات الإجادة الفنية ، وقد جاء في رسالته أن ما نُدَّ من قلمه ليس من استهانة ، وأنا لا أعتبره ممن قلت إنهم ركبوا ظهور الصحف والمجلات في غفلة الزمان ، وقد حسب أني أعني ذلك ، وسألني : « ألست معي في أن هؤلاء الذين ركبوا ظهور الصحف والمجلات في غفلة الزمان ، أحسن عملاً وأكثر نفعاً من أولئك الذين ركبت الصحف والمجلات ظهورهم ؟ » ولو سألني أي الفريقين أسوأ أثراً وأكثر ضرراً لكان من المحتمل أن أجيب ...

الخطب الموزون :

كنت بالأمس في أحد نوادي العاصمة ، مع الحاضرين لسماع محاضرة تلقى به ، وقام سكرتير النادي ليقدم المحاضر ، وأنا للآن لا أعرف اسم هذا السكرتير ، أما المحاضر فهو شخصية معروفة ، فبالله أيهما أولى بالتعريف ... ؟ وهي عادة متفشية في أنديتنا وجمعياتنا ، ينهز السكرتير أو الوكيل أو الرئيس وقد يكون المراقب أو أمين الصندوق ... ينتهز أحد هؤلاء فرصة اجتماع الناس لسماع محاضرة لأحد الأعلام ، فيحتل المنصة نحو نصف ساعة بحجة التقديم للمحاضرة وما هو إلا يريد توكيد شخصيته . أعجبني مرة أن رأيت الدكتور طه حسين بك يبرز إلى الجمهور وحده على المنصة بقاعة المحاضرات بالليسيه فرانسيه ، فلم يقدمه أحد ، وما هو بحاجة إلى تقديم .

ذكرني موقف ذلك السكرتير بما كان قد نشر في إحدى الصحف من التتبع في بعض ولايات إفريقية الجنوبية لحماية الناس من الخطب الطويلة المملة ، إذ يوجبون على الخطيب أن يقف على قدم واحدة ، فإذا تعب ومست الأرض قدمه الثانية يجب أن يمسك عن الخطابة وإلا منعه السامعون من الاسترسال بالقوة ! ولو أن في تلك الولايات من يقدم الخطباء كما هم لدينا في مصر ، لقضوا عليهم أن يقفوا على إصبع واحدة من قدم ...

وكم كان ظريفاً ذلك الأعرابي الذي حضر حفل زواج قام فيه خطيب فحمد وهلل وكبر وأطال في ذلك حتى أمل ، فقال له الأعرابي : أيها الخطيب لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء .

عباس محمود

كلمة أخيرة في نيتشه وفاجنر :

حين قارب نيتشة الثلاثين كان كما قال في كتابه زرادشت — وما وراء الخير والشر — قد مر بالمراحل التي مرت بها الإنسانية في تفكيرها ، إذ كان قد هب بشراهة وتهم شديدين من الفنون والفلسفات قديمها وحديثها. وكان الفيلسوف في السن التي اتصل فيها بفاجنر أستاذاً في أرقى الجامعات الأوربية ؛ فهو في صلته بالفنان رجل له مكانته الفكرية ومركزه الاجتماعي، لا شاب ناشيء كما يريد أن يصوره الأستاذ المداوي متفقاً مع قول رومان رولان المتعصب ليبهوفن كل التعصب حيث مجده في كتاب سماه بيهوفن الخالق — Beathoven the Creator — وإن محاضرات الفيلسوف « الناشيء » ودراساته في تلك السن لا زالت أهم المراجع فيما عالجته من موضوعات — وقد كانت الفلسفة الأغريقية وعلى الأخص أفلاطون أهم الينابيع التي استقى منها نيتشة ، إذ يصور نفسه في إحدى رسائله[1] إلى فاجنر في ذلك الحين جالساً بين عدد من كتب هذا الفيلسوف يكاد يحجبه عن الرائي — ولا أظنه بهذا يتملق الفنان أو يدّعي — أما في الفلسفة الحديثة فقد تتلمذ على شوبنهاور حتى رفعه إلى الدرجة العليا التي رفع إليها فاجنر في عالم الفن . (انظر كتابيه — شوبنهاور المعلم — والفاجنرية الكاملة) وكان قد استوعب أيضاً فلسفة ماركس وله عنها تنبؤات صدقت بشكل يدعو إلى الدهشة — إذ أن نيتشة هو الذي تنبأ في كتابه ما وراء الخير والشر لفلسفة ماركس بالذيوع ، وعين بالذات الدولة التي ستحمل مشعلها وهي روسيا في وقت كان لا يتصور هذا أحد ؛ لأن روسيا كانت ترزح تحت حكم القياصرة الحديدي — وقد صح ما تنبأ به نيتشة فاحتضنت روسيا الماركسية الألمانية وحملت مشعلها — وقد كان هذا العصر الذي ضم فاجنر وشوبنهاور ونيتشة يموج بأحداث جسام . فقد حدث أن اهتزت أوربا كلها لموجة فكرية عنيفة كان لها ما للقنبلة الذرية في عصرنا من وقع ، بل ربما أكثر ، فهذه جاءت في عصر ألف فيه الناس العجائب وكانت القنبلة منتظرة منذ سنوات .

أما ذلك الحدث الخطير فقد كان مفاجأة عنيفة ... وذلك هو نظرية التطور لداروين ١٨٥٩ التي زلزلت الأفكار في أوربا بل العالم طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولما أوشك نيتشة أن يكمل الحلقة الرابعة من عمره كانت نفسه تجيش أعظم جيشان عرفته نفس مفكر ... إن نفسه التي امتلأت بفلسفة الإرادة عند شوبنهاور وعالم المُثل عند أفلاطون وألهبتها روائع موسيقى فاجنر أخذت تنتفض انتفاضاً شديداً ... إنها تتمخض عن مولد فكر جديد قد يغير مجرى التفكير الإنساني كله ! وظل فكره في هذا الميلاد قرابة عقده الخامس . لقد بدأ داروين حبل الخليقة من الخلية إلى الإنسان فجاء نيتشة (حين أحس بأنه امتلأ كالنحلة التي ملأت خلية عسلها)[2] وتهيأ للرسالة ، فمد يده وتناول الحبل من داروين ليعبر به قنطرة الإنسان الحالي إلى السوبرمان ... ومن هو السوبرمان؟! إنه الهدف الذي تسعى إليه البشرية في تطورها ... « وكما صار القرد بالنسبة إلى الإنسان فسيصير الإنسان بالنسبة إلى السوبرمان ... » !

وهكذا خرج زرادشت نبي نيتشة بإنجيل دينه الجديد . دين السوبرمان الذي لا بد أن تصل إليه البشرية (في زعمه) محطمة في طريقها كل شيء يعوق هذا السير فوجب إذن أن تتسلح بالقوة والعنف — وهكذا تطورت فلسفة الإرادة عند شوبنهاور إلى إرادة القوة عند نيتشة وسقط شوبنهاور القشاش أمام سوبرمان نيتشة المتفائل وتحطم آله المسيحية الشفوق الحنون بما فيه من مشابه من أفلاطون (ليست المسيحية إلا الفلسفة الأفلاطونية ختمت بخاتم إلهي)[3] لأن الشفقة والحنان أخطر العوائق في طريق السوبرمان ... وأصبحت موسيقى فاجنر التي كانت تحلق بنيتشة في سماء الفكر لا تستطيع اللحاق به في آفاق السوبرمان .

وهكذا هوت الآلهة من سمائها في نظر نيتشة تلك الآلهة التي طالما قرب إليها قرابين العبادة وتسابيح العبودية .. ومن أفلاطون الآن؟ ومن شوبنهاور؟ ومن فاجنر؟ بل من هو الشعب الألماني كله الذي وراء نيتشة بأقصى الصوت ؟ كل هذا لا شيء مادام لا يؤمن بالسوبرمان ... وهل للقرد (الإنسان الحالي) قيمة في نظر السوبرمان؟ هذه قصة تحطيم نيتشة لآلهته الأولى ... قد يكون هناك بعض

(١) كتاب رسائل الصداقة بين نيتشة وفاجنر .

(١) كتاب زرادشت .

(٢) سانت هيلير في مقدمة كتابه الأخلاق لأرسطو .

الأسباب عجلت تحطيم بعضها قبل الآخر كزوجة فاجنر مثلا إن كان حقاً لها كل هذا الأثر ، ولكن التحطيم كان آتياً لا محالة . فهذا هو حكم التطور فى عقلية الفيلسوف الذى بينا خطوطه البارزة بقدر ما تطيقه مجالة فى مقالة ...

ويؤسفنى بعد هذا أن أناقش الأستاذ المداوى فى التوافه التى وقف عندها كل الوقوف وركز فيها هجومه ... ليس لكلمة genesis فى الإنكليزية كلها إلا هذه المعانى :

Birth' Creation' beginning

ولادة ـ خلق ـ سفر التكوين ـ لا الإخراج ـ (أى خلق العالم) فكيف يصدق أى عقل ترجمتها بلفظة إخراج؟ ! أما الحجة الأخرى You have shown فنصبة على خلق الكتاب «مولد التراجيديا» أى على القائم بخلقه وكلا الوضعين يؤيد ترجمتى . أما تملق الفيلسوف الشاب للفنان الكبير ليأخذ بيده فى طريق المجد ، فهذه وصمة لا تليق بالأستاذ المداوى ، فكيف تليق بنيتشة العظيم ؟ !

تقول « إن البقرى يولد وبذور البقرية فى دمه ؟ كيف تعتقد أنى لا أقر هذا؟ لكن هذه البذور ألا تحتاج إلى هواء وإلى شمس وتربة تمد فيها جذورها ؟! إنها بغير هذا تظل بلا شك بذرة بقرية لا بقرية .. والشمس والماء والهواء لا تحيل البذرة ياسيد (سروحى) إلى شمس أو إلى ماء أو إلى هواء ، وإنما هى عوامل مساعدة على التفتيق والإنبات وهكذا كل تأثير فى البقرية يا صديق . وتقول : (ما كان لهذا المفكر الجبار أن يتأثر أو يستمد وجوده الفلسفى من أى إنسان مهما تكن مكانته فى الحياة الفنية) . إن الحياة الفنية هنا شأنها شأن أى حياة . ليس العبرة بنوع التأثير بل بوقوعه على أى وجه. ثم إنك تقول إن زارا قال لرفاقه وأنصاره ماذا بهم زارا من جميع المؤمنين به ؛ إذ عليكم أن تجحدونى لتجدوا أنفسكم ... والصواب أن تقول هذا للأستاذ المداوى الذى ينكر أى إمعان سابق لنيتشة بفاجنر ما دام قد جحده أخيراً ، ويرى ذلك كان تملقاً متحدياً كل حقيقة ! مع أن نيتشة ظل يمجد فاجنر حتى أواخر عقده الرابع[1]

أما سؤالك عن تأثير بيتهوفن فى جوته يا أستاذ معداوى فهو مثل معكوس لأن جوته الفيلسوف كان يكبر بيتهوفن بمراحل ، بينما نيتشة كان مع فاجنر فى ناشئا يخطو أولى خطواته كما تقول . ومع هذا لا نستطيع أن نحكم بعدم تأثير موسيقى بيتهوفن فى تفتيق عبقرية جوته من بعض المعانى . ونيتشة بالذات ذو سليقة موسيقية لأنه شاعر لا ناقد — يا أستاذ معداوى — إذ هو القائل : « إن كتابى زرادشت أنغام موسيقية صدحت فى داخلى فأصغيتُ إليها وسجلتها » !

أما استشهادك بالناسخ والمنسوخ فى القرآن فإننا نقول بوقوع التأثير فى عبقرية نيتشة والتأثير وقع أيضاً فى فترة ما بفضل الآيات المنسوخة قبل نسخها، فمثلا فى آيات الخمر قد شرب الخمر بعض الصحابة فلا يقتضى إباحة الآيات المنسوخة قبل وقوع النسخ وهذا مؤيد لقولنا أيضاً ... أما كلمة خلق العبقرية التى ذكرتها فلا محل لها مطلقاً فى المناقشة ؛ وشتان بين الخلق والتفتيق ! يا أيها الأستاذ الناقد !

أما ما جاء فى مقالك من لغو فنعم عليه كراماً ...

محمد قمحى

فى تفسير الإمام محمد عبده :

جاء فى تفسير جزء (عم) للأستاذ الإمام — رحمه الله — عند تفسير أول سورة (الليل) ما يأتى :

(والليل إذا يغشى) يبتدئ فى هذه السورة بأن يقسم بالليل وهو الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة من الصدمة وإطباق العذاب ... اهـ

والإمام يعنى بالسورة السابقة سورة (الشمس) التى آخرها «فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها » والمعلوم أن سورة الشمس سابقة لسورة الليل فى الترتيب لا فى النزول إذ أن سورة الليل نزلت بعد سورة الأعلى — وبذلك يكون لا محل هنا لذكر المناسبة التى ذكرها الإمام .

أما المناسبة ؛ فلما كان المقسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس فى الحياة اشتملت صيغة القسم على أشياء مختلفة لتركيز المعنى المقصود فى عقول المخاطبين ... فقد أقسم بالليل والنهار فى قوله « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » وهما مختلفان — كما أقسم بخالق الذكر والأنثى فى قوله : «وما خلق الذكر والأنثى» وهما مختلفان أيضاً ، كأنه يريد أن يقول لهم : إن اختلاف سعيكم فى الحياة مؤكد تأكيد اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى ذلك الاختلاف الذى لا يتطرق إليه أدنى ريب ولا تستطيعون إنكاره

محمد عبد الله السمان

مدرس بمدارس الأسلام الكبرى الابتدائية بالجيزة

(١) against wagner 1888

أين دفن الإسكندر :

ورد فى مقالة الأديب كاظم المظفر من (إيوان كسرى) أن الاسكندر المقدونى توفى فى الدائن وحمل تابوته إلى الإسكندرية لأن امه كانت تقيم فيها . والتاريخ يقول غير ذلك إذ يقول إن الإسكندر توفى فى مدينة بابل وتابوته لا يعرف له مقر حتى الآن وأمه عند وفاة ابنها الإسكندر تقيم فى بيللا Pella مسقط رأس عائلة الإسكندر .

عزيز خانكى

جمع غيور :

جمع غيور على غيورين صحيح على مذهب الكوفيين لأنهم لا يشترطون فى الصفة التى تجمع جمع تذكير ألا يشترك فيها المذكر والمؤنث سواء كانت على وزن غول أم لا بخلاف البصريين وقف عليه نظائره ، ولا يخفى أن هذا الجمع المألوف المشهور ، أخف وألطف من جمع التكسير (غُير) الغريب المهجور .

على حسن هلولى
بالمجمع اللغوى

سويا بمعنى معا :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب تحت عنوان « فتى من الريف » فى عدد الرسالة ٨٢٠ فأعجبنى الأسلوب القوى والتركيب المتين والبلاغة المتدفقة فى كلامه ولكن رأيت فى ثنايا تعبيره عبارة جذبت نظرى .

ففى ص ٣٣٣ يقول على لسان هذا الفتى « وهؤلاء رفقائى يغدو معاً إلى الأزهر ويروح سوياً إلى الدار ...

واستعمال سوياً فى هذا الموضع بمعنى معاً خطأ شائع على الألسنة لأن لفظ سوى إنما هو بمعنى مستو .

قال فى اللسان ورجل سوى والأنثى سوية أى مستو فأرجو التنبيه على فساد هذا الاستعمال فى مجلتكم الزاهرة التى تدعو دائماً إلى رفع الثقافة العربية والأساليب البارعة فى مختلف الأقطار العربية .

عبد العليم على محمود

قلم صنع لا صناع :

ورد فى المصباح المنير فى مادة صنع ما يلى (ورجل صنع [بفتحتين] وصنع اليدين أيضاً أى حاذق دقيق . وامرأة صناع [وزان كلام] ... الخ) .

وعليه نقول : قلم صنع ؛ لا صناع كما جاء فى عرض الأستاذ العجمى لكتاب (وميض الأدب بين غيوم السياسة) فى عدد الرسالة (٨٢٠) إذ قال : وبهذا القلم الصناع تناول ... الخ) .

هدى الله الأقلام ، فصيح الكلام .

(المنصورة) اسماعيل أبو ضيف

تاريخ الأزهر :

(لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو اليمين)

الجانب الذاتى فى تناول التاريخ هو الذى يعطيه جوه ؛ ويشيع الدفء فى أنفاسه ؛ ويبعث الحياة والنشاط والتأثير فى جسمه . وهنا يندو الجانب الموضوعى وهو الهيكل العظمى مكسواً باللحم والدم . وعمل كاتب التاريخ هو تقديم صورة حية واضحة لما يعالجه . وهذا ما يحسه القارئ لهذا العمل الذى قام به فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو اليمين فى التأريخ للأزهر وإلقاء الضوء على تلك البيئة الفاطمية التى ولد بين أحضانها الأزهر . نشهد نا ميلاده ووقفنا على الآمال التى كانت معقودة على هذا الوليد ، ثم تطوره حتى صار جامعة إسلامية كبرى . ثم يعطينا فكرة عن مواد الدراسة فيه ، ويقدم لنا شيوخه الذين تولوا قيادته ، ويقف بنا غير طويل ليعرفنا بأشهر رجاله ، ويمر بنا على نظام الدراسة قبل النظام وبعده ؛ ثم بين تلك الأطوار التى مرت عليه حتى استقر به المقام فى هذه المرحلة الأخيرة وما يطبعه من سمات فكرية وروحية . وهذا عمل قيم جاء فى وقته ؛ فتاريخ الأزهر الحافل لم تكن صورته واضحة محددة إلا فى أذهان القلة القليلة من المثقفين ؛ وما عداهم فهى مهمة مطموسة وجراحة .

وقد خدمت بفضل هذه الدراسة واضحة العيون مستقرة فى الأذهان . ولعل هذه الدراسة الموجزة تكون فاتحة لدراسات مستفيضة دقيقة تتناول كل ناحية من نواحيه . وبعد فلا أظن أن أستاذنا فى حاجة إلى تقديم آثاره فى نواحى الجهاد السياسى .

قصة من روائع موباسان :

الغريب . . . !

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

— ١ —

أخذنا بأطراف الحديث والعربة تغادر بنا مدينة « كان » زاخرة براكبيها ، ولم نكد نتجاوز « بار سكن » حتى صاح أحدنا :

— ها هو ذا المكان الذى كانت تذبح فيه الناس !

فإذا بنا نخوض فى أخبار الخرافات ، ونتناول سيرة أولئك القتلة الذين كانوا — فيما مضى — يسلبون الناس أرواحهم وينتصبون أموالهم . فراح كل منا يدلى بما يساوره من قصص ، ويطرح ما يراوده من خواطر ... وطفقت النساء يحملقن مروّعات فى ذلك الظلام الحالك من خلال النوافذ ... يتوجسن خيفة أن تقع أبصارهن على رأس آدمى لدى الباب !

وتأهب أحد الأطباء — وكان يشد رحاله إلى الجنوب كل عام إذا ما بدت تباشير الشتاء — ليلقى فى أسماعنا واحدة من تلك القصص التى يكتنفها الغموض والغرابة :

« لم يسعدنى الحظ يوماً لكى أبلوَ شجاعتى وأجم جسارتى فى أمر من هذا القبيل ، إنما كنت على معرفة بسيدة قد طواها الموت وكانت ممن أعالجهن ... حدث لها أمر من أغرب الأمور وأشدها حزناً فى هذا الوجود ...

« كانت روسية تدعى « الكونتس ماريا بارتوا » ... وهى امرأة عظيمة ذات حسن ساحر وفتنة باهرة ... وأنتم تدركون كم هن جميلات أولئك الروسيات بأنوثتهن الرقيقة ، وشعورهن الرشوقة ، وعيونهن النجل ، وقدودهن الغضة . وما يبدين من الصلابة والإباء مع فيض من العذوبة والإغراء ... فيهن كل ما يخلب لب الرجل الفرنسى ويثير افتتانه !

« وكانت « الكونتس » فريدة بينهن ، وقد قطن طبيبها منذ سنوات إلى الداء وهو ينهش فى صدرها ، فأخلص لها النصح فى أن تمضى إلى جنوب فرنسا ... بيد أنها أبت أن تبارح « سان بطرسبرج » ، فأنثى الطبيب — فى الخريف الماضى — فأنذر

والأدبى والدينى لا تزال رائعة خصبة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

قصص الأطفال الحسابية المصورة :

(تأليف الأستاذ حسن محمد السكرى)

هذه سلسلة جديدة من « كتيبات » صغيرة الحجم عظيمة النفع كبيرة الفائدة توفر على تأليفها الأستاذ حسن محمد السكرى المدرس بمعاهد المعلمين ، وأفرغ فيها الجهد الشكور فجاءت متمشية مع أحدث طرق التربية الحديثة لتعليم مادة الحساب .

ومادة الحساب — لا شك — من المواد الجامدة التى لا يقبل عليها صغار التلاميذ وبخاصة فى المراحل الأولى من التعليم ، وذلك لخلوها من أدوات التشويق والترغيب وجلب انتباه الصغار والأستاذ مؤلف الكتاب وفق كل التوفيق حين جعل مسائله الحسابية قصصاً مصورة ملونة مشوقة تدفع الأطفال وترغبهم فى قراءتها كموضوع من موضوعات المطالعة ، وكمسألة من مسائل الحساب فى آن ، وفى ذلك يقول فى تقديم كتابه « حملنى على وضعها ما لمسه من شغف الأطفال بمطالعة القصص ، وما أراه من خير محقق فى الاستفادة بهذا فى تدريبهم أثناء المطالعة على بعض العمليات الحسابية حتى تزدوج الفائدتان العربية والحسابية » ...

وبعد : فإننا نرجى أفضل الشكر للأستاذ المؤلف الذى أخذ على عاتقه القيام بهذا العمل الجليل فى خدمة النشء ، ونرجو أن ينتفع الأبناء بالإقبال على أمثال هذه المؤلفات التى تتوخى الفائدة ، وتستهدف أسمى الأغراض ، وأنبل الغايات

(الزيتونة) هرنار أسعد

زوجها بسوء المصير ، فالح هذا على امرأته أن ترتحل إلى « منتون » في فرنسا .

« فاستقلت القطار — منطوية على نفسها في عربتها — أما حاشيتها فقد أقامت في ناحية أخرى من القطار .

وران عليها الحزن واحتواها الشجن ، وهي جالسة على كثب من الباب تلقي بطرفها إلى الحقول والقرى وهي تمر بها في إثر بعضها ، وقد استشعرت ألم الوحدة ، وأحست فزع الوحشة في حياتها وهي عاطلة من أطفال يملؤونها بهجة وبشراً ، وخالية من ذي رحم يحيلها مرحاً وأنساً .. غير زوج ماتت في قلبه عواطف الحب ، ونضبت منه عيون الحنان . . فلم يتورع أن يقذف بها في ركن قصي من العالم دون أن يصحبها كما يتبذون الخادم المريض في معزل عن الخلق !

وكان تابعها « إيفان » ينزع إليها في كل محطة لينظر إن كانت سيدته تروم أي شيء فيؤديه لها ، وكان رجلا كهلا شديد الإخلاص ، مشدق القلب على الطاعة ، سريعاً إلى إنجاز كل أمر تلقى به إليه ...

وفجأة مرّ لها أن تحسب ما قدم لها زوجها — في اللحظة الأخيرة — من النقود الذهبية الفرنسية ، ففتحت حقيبتها الصغيرة ، وأفرغت في حجرها ذلك الفيض الأصفر الرنان !

وعلى حين غرة أصابت وجهها نسمة قارسة من الهواء ، فرفعت رأسها — وقد تولتها الدهشة — تستجلي الأمر ، فإذا بالباب قد فتح ، فلم تملك السكونتس المضطربة سوى أن تطرح غلالتها السمراء على ما في حجرها ، ثم قبعت مترقبة !

فلم تمض لحظات ، حتى دلف من الباب رجل عارى الرأس ، جريح اليد ، لاهث الأنفاس ، وأغلقه من خلفه ، واستقر في مقعد يلي إلى جارته بنظرات حادة ، ثم لم يلبث أن لف منديلا حول رسغه المخضب بالدماء !

فأحست السيدة لفرط خوفها أنها تكاد تنيب من وعيها ، فلا مجال للريب في أن هذا الرجل قد لمحها وهي تحسب نقودها ، فخف إلى سلبها ... ثم ... ثم يزهق روحها ! إنه ما برح يحدجها بنظراته الثاقبة ... مضطرب الأنفاس ، مقطب السمات ، يتربص بها الفرص حتى يثب عليها !

قال بنتة : سيدتي ... لا تخافي ولا تجزعي !

فلم تنبس ببنت شفة ، وقد تحجر لسانها ، وطنت أذناها ، وازداد قلبها خفقاً !

واستطرد فيما يقول : ما أنا بشرير — أيتها السيدة !

فأمسكت على صمتها ، ولكن حركت ساقها فجأة — وهي لا تدري — فأخذ الذهب يتدفق إلى الأرض كما يتدفق الماء من الصنبور — فحك الرجل بحملق حيناً وقد أخذته الدهشة في ذلك السيل الذهبي ، ثم لم يلبث أن انحنى يلتقطها ويجمعها !

فهمت مروعة ، وألقت بكل ما معها على البساط ، وهمت أن تجري تروم النجدة وتتوخى النجاة !

ولكن الرجل — وقد أدرك ما هي مقدمة عليه — قفز إليها وأطبق على ذراعها ، ثم دفعها في غلظة إلى حيث كانت تجلس وهو يمسك رسغها — وراح يقول في صوت مرتعد النبرات :

اصغي إلي يا سيدتي — لست بشرير ، ولا معتد أثيم — والبرهان على صدق ما أقول أني سأجمع هذا الذهب وأرده عليك لا ينقص دانق ، ولكنك إذا لم تكوني لي عوناً وملاذاً حتى أعبر الحدود ، فما أنا إلا رجل ضائع يساق إلى موته ، ولن أبوح لك بغير ذلك !

فإني خلال ساعة سيمرق بنا القطار من الحدود الروسية ، وحياتي معلقة حينئذ بين يديك رهن بمشيئتك — ولا يذهب بك الخيال ، وتتوزعك الوساوس ، إلى أني سفكت دماً ، أو سلبت مالا ، أو جئت أمراً يخالف الشرف ويدنس الضمير — أقسم لك أني لم أجانف إثما ولم أقارف ذنباً — ولكن لن أبوح لك بالمزيد !

ثم ركع ثانية ، وراح يجمع النهب ، حيث انتثر تحت المقاعد وفي ثنايا البساط ، حتى إذا امتلأت الحقيبة به مرة أخرى ، ناولها لجارته في هدوء دون أن تنفرج شفتاه عن كلمة يرددها — ثم انثنى إلى الركن الآخر من العربة فجلس فيه لا يحرك ساكناً ! ومكثت هي جانحة إلى الصمت وقد لفها السكون — وما برحت الغشية تراودها من أثر الخوف والرهب ، وإن أفرغ روعها وبدأت نفسها تنزع من الاضطراب ويطمئن قلبها رويداً رويداً !

أما هو ، فقد جلس لا يريم ، ولا يختلج له طرف ، وهو يحدق أمامه ، شاحب الوجه ، تعلوه صفرة كأنها صفرة الموت — وأخذت هي ترسل إليه — بين الفينة والفينة — نظرات عاجلة تختلسها اختلاساً ، وسرعان ما ترتد عنه — بدا لها الرجل وضيء

الوجه منبسط السمات ، عليه سيماء السيادة والنبل ، قد تجاوز عقده الثالث !

وكان القطار ينساب فى سرعة مخيفة خلال الظلمات الطامية ، ويرسل بين آونة وأخرى صفيره الحاد يمزق هدأة الليل بحدته ! ولكن ما لبث أن خفف من سيره ... ثم سكنت حركته بعد أن وثب بعض الصفيرات ... فلما برز « إيفان » من الباب ، ألقت « الكونتس ماريا » نظرة عجلى على رفيقها ، ثم قالت لخادمها فى صوت خافت ونبرة سريعة : « إيفان سوف تعود إلى الكونت ، فما بى حاجة إليك ! »

فعلق فيها الرجل بعينين واسعتين يتراقص فيهما الاضطراب وقد تجلت على وجهه الحيرة ، وارتج على لسانه القول : « ولكن يا سيدتى ! » فأجابته :

— « كلا ... لا تصحبنى ... فقد غيرت من فكرى ورجعت عن رأيى ... ومن الخير أن تبقى فى روسيا ... إليك بعض النقود لتعود بها ، وناولنى قبعتك وعباءتك ! »

فخلع الخادم فى جزع ودهش قبعته وعباءته دون أن يبدى بسؤال يستجلى به الأمر ، فقد عودته التجارب وعلمته الأيام أن يطيع أهواء سادته ويجيب نزواتهم ولو كانت غريبة مدهشة ، ثم ارتد على أعقابه مغرورق العينين بالدموع !

ولم يلبث القطار أن اندفع يطوى الأرض شطر الحدود . فقالت « الكونتس ماريا » لرفيقها : « إن هذه الأشياء لك — أيها السيد — أنت الآن « إيفان » خادمى ... ولا أروم إزاء ذلك سوى شرط واحد ، هو ألا تحدثنى بكلمة ، ولو كانت تحمل معنى الشكر ! » . فانحنى الرجل فى رقة دون أن ينبس ببنت شفة !

ثم عاد القطار إلى الوقوف ثانية ، وصعد إليه نفر من الضباط فى أردیتهم الرسمية ، فمدت لهم الكونتس يداً بأوراقها قائلة — وهى تومئ إلى الرجل فى مؤخر العربة — :

« ها هو ذا خادمى إيفان وأوراقه هنا ! »

• • •

انطلق القطار فى سيره من جديد ، وقد جلس كلاهما غير بعيد من الآخر ، والليل يضمهما ، والصمت يحتويهما ، حتى إذا انسلخ نور الصبح من دياجير الليل ، وقف بهما القطار فى محطة ألمانية ، فنهض الرجل المجهول ، وقام إلى الباب قائلا فى صوت هادئ رقيق :

— معذرة يا سيدتى إن أخلفت ما كان من وعدى ، بيد أنى قد حرمتك من خادمك ، فلا أقل من أن أحل مكانه ، أما تموزك حاجة ؟ !

فأجابته فى فتور : اذهب رادع وصيفتى !

فمضى ثم طواه الخفاء ، ولم يقع عليه طرفها بعد ذلك إلا حينما كانت تتناول غداءها فى إحدى المحطات وهو يرمقها من بعيد ، ثم أخيراً فى « منتون » حيث استقر بها النوى !

— ٢ —

وثاب الطبيب إلى الصمت هنيهة ، ثم وصل ما انقطع من حديثه قال :

« وذات يوم ، بينما كنت أتلقى مرضاى فى عيادتى ، دخل على شاب فارع القامة وسيم المحيا وسألنى فى هدوء وسكينة : « أيها الطبيب ، لقد أقبلت متقصياً أخبار الكونتس ماريا بارتوا ! إنى من أصدقاء زوجها ، وإن كانت لا تربطنى بها معرفة ! »

فأجبته : « لقد أفلت الزمام من يدها ، ولن تطأ أرض روسيا بعد الآن ! »

فإذا بى أرى الرجل يغرق فى البكاء ، ثم مضى فى سبيله يترنح كمن ذهبت بلبه الخمر ! وقد أخبرت « الكونتس » فى المساء بما كان من شأن ذلك الرجل الغريب ، فهزت رأسها وقد لاحت على وجهها سيماء التأثر ... ثم أخبرتنى بتلك القصة التى رددتها على أسماعكم لتوى !

ثم أضافت قائلة : « إن هذا الرجل الذى لا أدرى عنه شيئاً . يتبعنى الآن كظلى ! . ولا أكاد أخرج يوماً حتى ألتقى به ... فينظر إلى فى رقة ونبل .. بيد أنه لم يحاول أن يخاطبنى أبداً ! ..

وران الصمت عليها حيناً ، وهى تحاول أن تجمع شتات فكرها .. ثم قالت : « تعال . . سأراهنك على أنه قائم تحت النافذة فى هذه اللحظة ! . »

وغادرت كرسيها الطويل ، وخطت إلى النافذة . . ثم أزاحت الستار عنها ، وجاشت أرى ذلك الرجل الذى أتانى فى الصبيحة . جالساً على مقعد فى الروضة التى أمامنا .. يمد بصره إلى المنزل . . فما إن وقع بصره علينا — ونحن فى النافذة — حتى نهض من

جلسته ، ومضى في الطريق لا يلوي على شيء ، حتى غاب عن ناظرينا ! . .

وحينئذ فطنت إلى شيء عجيب يبعث الحزن ويثير الإعجاب . لقد أدركت سر ذلك الحب الصامت الذي توثقت عراه وتمكنت وشائجه بين هذين المخلوقين اللذين جهل كل منهما صاحبه كل الجهل !..

إنه يهيم بها ويعبدها عبادة خالصة ، ويود أن يفديها بحياته . فكان يقبل علي في كل صباح يسألني : « كيف حالها ؟ ! . » وهو على يقين من أني أدرك مدى أحاسيسه ومشاعره . . . ثم ينشج في نحيب وجزع وقد أسدل على وجهه راحتيه . . . كلما أحس بأنها تزداد ضعفاً وتشتد نحولاً . . . وقد ثقلت عليها وطأة العلة .

قالت لي يوماً :

« إني لم أخاطب ذلك الرجل العجيب سوى مرة واحدة . ولكن يبدو الآن كأني أعرفه منذ عشرين سنة . . . » وحينما النقت به ردت على انحناءته الرقيقة : بابتسامة أضاءت على ثغرها ، وفاضت على صفحة وجهها ! وقد أحست — على رغم خطاها السريعة إلى القبر — أنها سعيدة كل السعادة هانئة كل الهناء بذلك الحب الذي يفيضه عليها هذا الإنسان ويغمرها به في وفاء نبيل وإخلاص شاعري . . . يكاد أن يذهب بنفسه كل مذهب ! ولكنها أبت أن تعرف اسمه ورفضت أن تخاطبه وهي . . تردد : « كلا . . . ثم كلا . . . أن هذا سوف يمحو تلك الصداقة الغريبة بيننا . . . ويفسدها . . ينبغي أن يظل كل منا جاهلاً صاحبه . قريباً إليه بقلبه بعيداً عنه بلسانه ! »

أما هو ، فقد كبت نفسه وراضها على ألا يدنو من صاحبته . . . وحزم أمره على أن يفي بعهده الذي قطعه على نفسه في الغربة وهو ألا يكلمها أبداً . . . وقد كانت هي خلال الساعات الطوال التي يشتد فيها الوهن عليها ويضيق صدرها بالحياة . . تنهض عن مقعدها وتسعى إلى النافذة فتزيح ستارها . . . حتى تنظر إن كان ثمة تحت النافذة ؟! فإذا اطمأنت بصرها إليه وهو جالس على مقعده لا يريم . . . انثنت إلى فراشها ، وقد انفرجت شفتاها الذاويتان عن ابتسامة رقيقة !..

وأشرقت عليها الشمس ذات يوم جسماً بلا روح ، وقد طوى الموت صفحة حياتها ! . وبينما كنت أهم بمغادرة البيت . . . أقبل علي الرجل شاحب الوجه زائغ العينين ، وقد تجلى على محياه أنه لم يرقدها منذ لحظة . . وابتدرني قائلاً في صوت كله رجاء وتوسل : « كم أود أن أراها ولو لحظة في حضرتك ! » فأخذته من ذراعه ودلفنا إلى المنزل معاً . فلما بلغنا حيث سجيت السيدة الميتة . ركع إلى جوارها في خشوع ، وأمسك بيدها في رفق ، وطبع عليها قبلة طويلة حارة تبللها الدموع . . . ثم انقلب على أعقابه . . . وانطلق في سبيله . . . وكأنما تجرد من مشاعره وتنصل من أحاسيسه ! . .

وخيم الصمت برهة على الطبيب ! ثم عاد الحديث : « إن هذه الحادثة هي أغرب ما مر بي من الحادثات . بل لعلها الوحيدة التي تظهر لكم الناس . . . ومالم عليه من قرابة وجنون !.. » فتمتمت إحدى النساء في نبرة خفيضة : « لم يكن هذان المخلوقان سادرين في جنونهما كما تذهب بك الظنون . . . بل إنهما كانا ! إنهما كانا ! . . »

بيد أنها لم تمض في عبارتها . . . فقد شرقت بالدموع ! ولم يدرك أحد منا ما كانت ترمي إليه قوله . . . إذ حولنا دفة الحديث لنهدئ من روعها وننزل على قلبها السكينة .

(طنطا) مصطفى جميل مرسي

منطقة شبين الكوم التعليمية

قلم التعليم الحر

« تعلن وزارة المعارف العمومية منطقة شبين الكوم التعليمية عن فقد القسائم البيضاء من رقم ٧٢١٢٩٣ إلى رقم ٧٢١٣٠٠ من الدفتر ٥٨ مدارس حرة المبتدئ برقم ٧٢١٢٠١ والمنتهي برقم ٧٢١٤٠٠ وهذه القسائم من أصل وصورتين من مدرسة الأقباط الابتدائية للبنات بطوخ دلكة وقد اعتبرت هذه القسائم ملغاة فكل من يحاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية » .

١٦٠٤

أحمد حسن الزيات

يقـــــــدم

دفاع عن البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع ، فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ .

من فصـــوله المبتـــكرة

الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ .

(١٥ قرشاً)

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحـــكومة المصرية

دليل تليفونات الأسكندرية طبعة سنة ١٩٤٩

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات الاسكندرية طبعة سنة ١٩٤٩ والإعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا

بقسم النشر والاعـــلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة